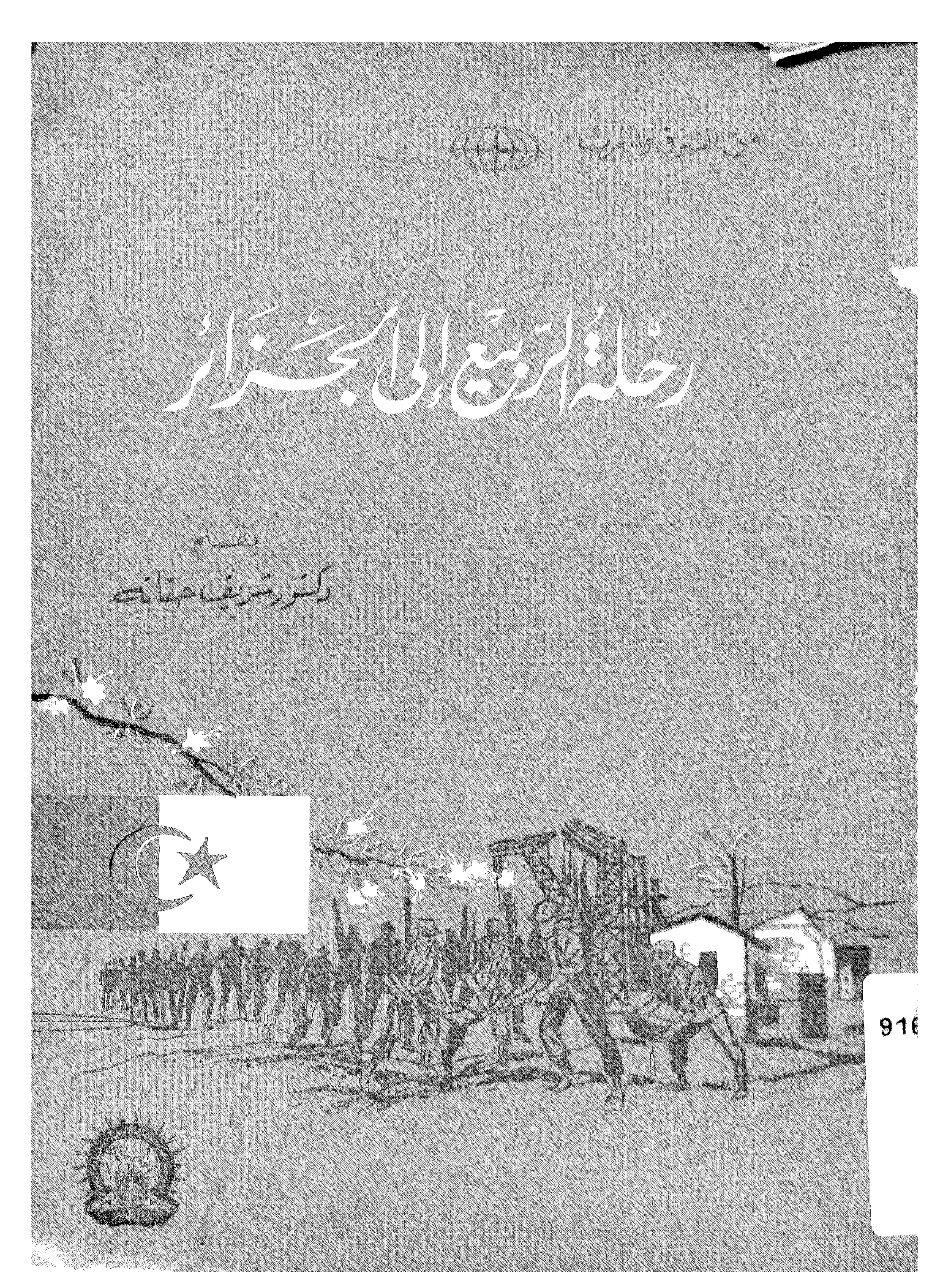

من الشرق والغرب
رحلة الربيع إلى الجزائر
بقلم
دكتور شريف حنانه
916

من الشرق والغرب

رحلة الربيع إلى الجزائر

بقلم
دكتور شريف حتاته



الجزء الأول

الرّحلة

الجزائر دولة عربية تسير فى طريق الاشتراكية .

وبلادنا أيضا دولة عربية اختارت لنفسها طريق البناء الاشتراكى .

ولذلك ففى معركة القضاء على بقايا النفوذ الاستعمارى بشكليه القديم والجديد فى الشرق العربى ، وفى القارة الافريقية ، فى معركة الوحـــدة العربية ، والوحدة الافريقية ، فى معركة الســـلام والدور الذى تقوم به دول الحياد الايجابى ، فى معركة تحقيق الرفاهية والسعادة لملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين الذين عانوا عصورا طويلة من الحرمان والتخلف ، فى هذه المعارك جميعا أصبح تبادل الخبرة بين الثوريين الاشتراكيين مسألة جوهرية .

وقد قمت برحلة الى الجزائر الشقيقة خلال شهر ابريل عام ١٩٦٤ ولم تدم هـــذه الرحلة سوى خمسة أســـابيع ، تمكنت فيها بفضل كثير من الاصدقاء فى الجزائر من مشاهدة بعض معالم الحياة الجديدة التى تبنى هناك ، ورؤية الزحف العارم للجماهير الكادحة فى الجزائر ، فى سعيها الى بناء بلادها ، برغم كل الظروف الصعبة المحيطة بالدولة الجزائرية الفتية .

وقد بدا لى أن هنـــاك بعض الفائدة فى نقـــل ما شهدته هناك ، الى الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة .

وهذا هو هدفى من الكتاب البسيط الذى أقدمه اليوم الى القراء .



الفصل الأول

حديث مع الرئيس بن بيلا

الربيع هو موسم الحياة المتجمدة ، تخرج من احشائه البراعم والشجيرات اليانعة ، وأفرع الاشجار الوليدة، وتخرج من البذور وريقاتها الاولى وجذورها الرقيقة لتضرب فى الارض السمراء باحثة عن الماء والغذاء ٠

الربيع هو موسم الحب والامل والتطلع الى الجديد، وهنا فى الجزائر يولد مع الربيع طفل صغير فى حجمه ، عظيم فى مغزاه ،طفل يتطلع اليه كل جزائرى فى فخر وثقة ، وينتظر بفارغ الصبر نهاية تلك الولادة العسيرة المفعمة بالألم والأمل ٠

والشعب الجزائرى ينتظر ذلكالحدث العظيم منذ مدة طويلة، والولادة التى ينتظرها بأنفاس متقطعة، والطفل الذى سيرى النور فى الايام القليلة القادمة ليست له أم واحدة ، فالشعب كله قد شارك فى انجازه، والشعب كله يعده جزءا من نفسه ، حمله فى احشائه عبر السنين ، أيام كان يخوض المعارك مختبئا فى الجبال ، وفى شوارع القصبة العتيقة المتعرجة حمله العمال وهم واقفون أمام آلاتهم ، والفلاحون حينما زحفوا لاحتلال مزارع « الكولون »(١) ، والمثقفون وهم يصبون عصارة أحلامهم فى المداد الازرق ، لتخرج الى الوجود من بين سيور المطابع ٠

---

(١) « الكولون » هم المستوطنون الفرنسيون ملاك الأراضى ٠

مولود حمله الشعب كله كأمل من آماله العزيزة ·

فمع الربيع تولد أشياء كثيرة فى الجزائر ، ومع الربيع يولد الحزب ·

وهذا الحزب نتاج تاريخ طويل ، ومعارك امتدت عبر السنين ، وهو السلاح الذى صقلته الجماهير تحت قيادتها الثورية المتمثلة فى بن بيلا واخوانه المخلصين ، ليكون اداتها الاولى والاساسية فى تحقيق التحول الاشتراكى وبناء مجتمع الرفاهية والسعادة والحرية فى الجزائر ·

ويوم ١٦ من أبريل ، وهو التاريخ المحدود لافتتاح مؤتمر جبهة التحرير يوم تاريخى فى نضال الشعب الجزائرى ، يضاف الى أيام تاريخية اخرى ، مثل بداية الكفاح المسلح فى الأول من نوفمبر عام ١٩٥٤ ، واجتماع طرابلس الذى وضع فيه أول برنامج لجبهة التحرير ·

وبعد حين سيقول المدرسون لتلاميذهم عندما يلقنونهم تاريخ الشعب الجزائرى المناضل : ان برنامج طرابلس كان نهاية مرحلة ، مرحلة الحرب المسلحة الطويلة ، أما قرارات مؤتمر ١٦ من أبريل ، فقد كانت الدعامة القوية للثورة الاشتراكية ، والتى تبلورت على أساسها التيارات المناضلة فى سبيل الاشتراكية ، والتيارات المعادية لها ·

لقد رأيت أن أجرى حديثا مع بن بيلا قبل أن ينعقد المؤتمر وتستغرقه أعماله ، ولأناقشه فى بعض المشاكل التى تهم الرأى العام العربى والعالمى ، ومن بينها تقديرات القائد الجزائرى فيما يتعلق بالمؤتمر نفسه ·

وأعتقد أن هذه الاسئلة والاجابة عنها· تلقى ضوءا على المناخ الفكرى الذى يسود الجزائر فى الفترة الحالية ·

١ ــ وكان من الطبيعى ونحن نمر بمرحلة الانطلاق العظيم، **أن أسأل الرئيس الجزائرى عن رأيه فى الخطوات الاخيرة التى اتخذتها حكومة الرئيس جمال عبد الناصر (١) بشأن الاوضاع الداخلية ·**

فقال :

« انها خطوات ايجابية لأنها تساهم فى بناء الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة · »

(١) كانت هذه القرارات خاصة بالغاء الحراسة ونظام التعويض ، والغاء الاحكام العرفية واجراء الانتخابات ، والاعلان الدستورى ، · وقد صدرت فى اواخر شهر مارس عام ١٩٦٤ ·

وفيما يختص بالقرارات التى تتناول الوضع الاجتماعى لأية فئة من فئات المجتمع فاننا نرى فيها خطوات جديدة فى طريق تطبيق المبدأ الذى أكده الرئيس جمال عبد الناصر مرارا ، وهو مبدأ « القضاء تدريجيا على الفوارق بين الطبقات » وكذلك نرى فى هذه القرارات أيضا ، كما هو واضح من الغاء التعويضات لملاك الارض خطوات نحو تعميم مبدأ اشتراكى آخر يؤكد « أن العمل هو المصدر الوحيد للدخل » •

٢ ـ يسير الاتجاه الاقتصادى فى العالم اليوم نحو تكوين وحدات اقتصادية كبيرة• فهل يمكن البدء فى دراسة تهدف الى التخطيط والتنسيق الاقتصادى فى المستقبل بين بلدينا ؟

« لقد أصبحت الوحدات الاقتصادية الكبرى بالفعل فى أيامنا هذه ضرورة ، وخاصة فى البلاد النامية ، والعالم العربى بالذات يستطيع ، بل ويجب ، أن يضع فى خططه نوعا من التوحيد الاقتصادى •

« ان الجزائر تولى هذه المسألة حقها من الاهتمام •

« ولكن تكوين وحدة اقتصادية كبيرة ، مسألة من الدقة بحيث يجب ألا نقدم عليها ، الا بطريقة علمية قدر الامكان • وذلك يتطلب ابحاثا تحضيرية طويلة ، والجزائر واعية بذلك تماما •

« وريثما يتم هذا العمل نشجع بقوة كل المحاولات التى من شأنها التوحيد الاقتصادى للعالم العربى ، ونشجع بالذات كل المشروعات التى تهدف الى دراسة هذه المسألة •

« وفى رأينا أن هناك مسألة لا غنى عن وضعها فى التقدير فيما يختص بهذا الموضوع ، اذ يجب أن يوضع فى «الاعتبار» التفاوت الواضح فى النمو داخل بلدان العالم العربى ، ويجب أن ننظر الى التوحيد الاقصادى كوسيلة تسمح بازالة هذه الفوارق لا بزيادة حدتها » •

٣ ـ كيف يمكن تنمية الروابط والعلاقات الاخوية بين شعب الجمهورية العربية المتحدة والشعب الجزائرى ؟

« ان التدعيم المستمر لعلاقاتنا يجب ، حتى يكتمل معناه ، أن يمتد الى المستوى الشعبى ، أى الى مستوى الطبقات التى تتكون منها الدعائم الاجتماعية للنظام الاشتراكى : الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين • وأحسن طريقة فى هذا الصدد تبادل الزيارات المتعددة التى من شأنها زيادة التعارف بين المغرب العربى والشرق العربى » •

٤ ـ سيدي الرئيس ، ما الخطوات الاولى ، التى ترون اتخاذها لتدعيم الروابط بين الاتحاد الاشتراكى العربى وجبهة التحرير الوطنى ؟

« لقد تم بالفعل لقاء مبدئى ، بين جبهة التحرير الوطنى ، والاتحاد الاشتراكى العربى ، وقد نوقشت فيه أهم المسائل التى تتعلق بالتجربة الجزائرية وبتجربة الجمهورية العربية المتحدة • ونحن نرى أن تبادل وجهات النظر يمكن ويجب أن تزداد وتتعمق فى المستقبل ، حتى يساعد على تدعيم الفهم المتبادل والكفاح المشترك • ان لكل من بلدينا بالفعل تجربته الخاصة به التى يمكنه شرحها ، وهذه المقارنة والمواجهة لا يمكن أن تؤدى الا الى تعميق خبرتنا واثرائها » •

٥ ـ ماذا كانت فى رأيكم أبرز جوانب زيارتكم الأخيرة ليوغوسلافيا؟

« كانت لهذه الزيارة عدة جوانب ايجابية ، وخاصة أنه كان من المفيد المقارنة بين فهمنا للتيسير الذاتى ، وبين التيسير الذاتى فى يوغوسلافيا • ونحن نأمل أن يستمر تبادل وجهات النظر ، بل وأن يزداد ، مع الاشتراكيين اليوغوسلاف ، وغيرهم من الاشتراكيين فى أنحاء العالم » •

٦ ـ ما أهمية توحيد مدارس الاشتراكية المختلفة فى الجزائر فى رأيكم ؟ وكيف يمكن تصفية الخلافات الايديولوجية القائمة بينها بالتدريج ؟

« نحن نستند على مبدأين فى تحديد طريقنا الاشتراكى : فأولا لا توجد سوى اشتراكية علمية واحدة ، وهى ليست ملكا لحزب أو دولة ، ومن ناحية أخرى فمن واجب ومن حق كل بلد أن يقوم بالتوفيق بين تبنيه لهذا الطابع العالمى للقوانين الاشتراكية، وبين تأكيده لشخصيته المتميزة واستقلاله ، ولذلك فاننا نكافح فى وقت واحد ضد الفكرة الخاطئة التى تنكر وجود قواعد اشتراكية عامة ، وضد الفكرة التى تؤمن بالتبعية حيال أى اتجاه من الاتجاهات التى تدعى احتكار الاشتراكية •

« ان التطبيق العلمى لهذه المبادىء يتجسد فى التقارير التى أعدت من أجل المؤتمر ، هذه التقارير تتضمن فهمنا للاشتراكية ، واننا لنرحب بانضمام كل من يقبل هذا الفهم ، كما كررنا فى عدة مناسبات سابقة ، ان عملنا من أجل التوضيح الايديولوجى يتم فى اطار من الديمقراطية، بحيث يسمح ، عندما تنتهى الى قرار ، برفض المناقشات البيزنطية مع أية مدرسة من المدارس المختلفة » •

« ان جبهة التحرير الوطنى ، كما هو واضح للجميع ، مصب يمكن أن تتم فيه المواجهة بين مختلف وجهات النظر التى يحملها المناضلون الثوريون » ٠

٧ ـ سيدى الرئيس ، ما تقويمكم بالنسبة لتجربة لجان التسيير الذاتى ؟

« لا شك أن تجربة التسيير الذاتى ايجابية ، كما يثبت من توزيع الارباح على العمال ، وهذا الشكل الجديد من أشكال التنظيم الاقتصادى يتطور خلال تناقضات عدة ، تمتد جذورها الى الاساس المادى للمجتمع ٠

« ان التسيير الذاتى لا يمكنه أن يبدل ، بين يوم وليلة ، الأساس الاقتصادى فى بلادنا ، وهو ليس عصا سحرية يمكنها أن تغير مستوى الوعى الاجتماعى الذى شكلته ظروف الاستغلال ، ولكنه يسمح لنا مع ذلك باعادة طرح كل مشاكل بلادنا، وبنائها من جديد على أسس مختلفة، على أساس الدور الطليعى للعمال والفلاحين فى بناء الاشتراكية ٠

« وقد اصطدم التسيير بمشاكل مختلفة يمكن عرضها بشكل سريع :

١ ـ نقص الكادر ٠

٢ ـ صعوبة التمويل والتسويق ٠

٣ ـ بعض قطاعات الادارة ليس في مستوى مستلزمات الاشتراكية المتجسدة فى نظام التسيير الذاتى ٠

وبالطبع ، فان عدم بلورة بناء الحزب بشكل نهائى يضيف الى كل ذلك صعوبة سياسية رئيسية ٠

« ولكن مؤتمر التسيير الذاتى الصناعى قد طرح كل الاسئلة المعلقة فى هذا الميدان بجرأة وجدية كما هو واضح للجميع ٠

« وهناك اجراءات اتخذناها ، من شأنها أن تسمح لهذا القطاع بالوقوف على قدميه ، ثم بالتوسع ٠

« وباختصار، فبرغم المشاكل الدقيقة التىيواجهها التسيير الذاتى، أمامه مستقبل يبدو لنا منذ الآن مضمونا ، اذ أن مصير هذا الانتصار العظيم ـ بين أيدى العمال وهم أصحابه الشرعيون ٠

« ولا يمكن كل من تتبع أعمـال مؤتمر التسيير الذاتى للصناعة أن يشك فى اصرار الطبقـة العـاملة الجزائرية على الدفاع بقوة وعـزم عن انتصاراتها » .

٨ – ما المساعدات التي تقدمها الحكومة الجزائرية الى حركات التحرر الوطنى فى افريقية ؟

« الى جانب المساعدة الدبلوماسية والمعنوية ، فان الجزائر تقدم الى حركات التحرر الافريقية مساعدات مالية وعسكرية، وتتخذ شكل ارسال الأسلحة ، وتدريب مناضلى هذه الحركات فى الجزائر .

« اننا نقوم بكل هـذه الواجبات فى اطار لجنـة التسعة التى قمنا حيالها بكل الالتزامات المتفق عليها فى أديس أبابا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عن طريق الاتصالات المباشرة بالحركات المشار اليها » .

٩ – ما النتائج المنتظرة لمؤتمر رؤساء دول وحكومات عدم الانحياز القادم فى رأيكم ؟

« ان المؤتمر القـادم لرؤساء وحـكومات عدم الانحياز ، سيساهم بالكثير فى قضايا الشعوب التى تكافح ضد الاستعمار ، وسيخلق الظروف اللازمة لتقدم الدول المضطهدة .

« وحتى يتم ذلك يجب على المؤتمر أن يوجه جهوده للقيام بأعمـال ملموسة وفعالة ، وان يتفادى من خطر تحويل الحيـاد الايجابى الى مجرد مبادىء نظرية ، فالحياد الايجابى أبعـد ما يكون عن المذهب الجامد ، انه منهج من شأنه أن يسمح بحل تناقضات دولية معينة ، ومن الواجب أن يتفـادى بالذات ، خلال البحث عن مخرج للخـلافات بين المعسكرين من خلق كتلة جديدة (١) .

١٠ – أخيرا سيدى الرئيس ، ما أهمية ومغزى المؤتمر القادم لجبهة التحرر الوطنى فى رأيكم ؟ وما الاهداف التى يجب أن يحققها ؟

« ان مؤتمرنا القـادم ، الى جانب تطوير برنامج طرابلس ، وعلى ضوء التطورات التى حدثت فى الجزائر المستقلة ، يجب أن يحدد بوضوح

---

(١) وقد جاءت قرارات مؤتمر دول عدم الانحياز تأكيدا للاتجاه الذى أشار اليه الرئيس بن بيلا ودليلا على التقدم الذى تحرزه هذه الدول فى الكفاح ضد الاستعمار ومن أجل السلام .

للمرحلة الحالية ، معالم الاشتراكية فى الجزائر • ونحن ننوى بالذات أن نبذل كل الجهود اللازمة حتى يخرج الحزب من المؤتمر بهيكل متين قادر على تعبئة الجماهير •

هذا هو الحديث الذى أدلى به بن بيلا قبل المؤتمر بأربعة أيام ، ذلك المؤتمر الذى سنتناوله فى فصول لاحقة ، والحديث خير مدخل للمرحلة القصيرة التى سنقوم بها عبر الجزائر •



الفصل الثانى

العمل فى جو من البهجة

خرجت من باب المطار ، لأجد سيارة زوجتى (١) فى انتظارى ، أسرعت بنا السيارة عبر شوارع ضيقة ومنحدرة ، حتى وجدت نفسى فى حجرة ضيقة داخل مبنى ، وشابة عصبية نحيلة تدخن بلا انقطاع، وتتكلم بلا انقطاع أيضا ، من حولها أربعة أو خمسة من الشبان الجزائريين ، وشقراء فارعة الطول علمت أنها طبيبة يوغوسلافية ٠

فى الدقائق الاولى جلست وأنا لا أدرى ماذا يحدث حولى ؟ كل ما عرفته أن المناقشة تدور حول اسم « وادى فودة » بعد قليل تبينت أنه اسم معسكر للمتطوعين من الشباب ٠

منذ عام تقريبا ، فى صباح كل يوم أحد ، وهو يوم الاجازة الاسبوعية فى الجزائر ، تخرج فرق من المتطوعين من الطلبة والطالبات وعمال السكك الحديدية والكهربا ، والعاملين فى المستشفيات تخرج فرق هؤلاء مع الصباح الباكر ، ومع خيوط الشمس الأولى ، من مدن مختلفة مثل الجزائر وقسنطينة ووهران وسيدى بن عباس ، متجهة الى الريف لمساعدة الفلاحين فى اصلاح الجرارات وحفر قنوات المياه وزراعة الاشجار، وجنى المحصولات والفواكه ، والقيام بالاعمال الصحية ومحو الامية ٠

وفى يوم ٢٧ من مارس التقى بن علا الحاج عضو المكتب السياسى

---

(١) تعمل مستشارة فنية بوزارة الشباب ٠

لجبهة التحرير الجزائرية نداء أذاعه الراديو ، ونشرته الصفحة الأولى للجرائد ، واختتم بن علا الحاج نداءه بهذه الكلمات :

« الواقع أن حركة المتطوعين من الشباب تشكل عملية تنظيم وتوجيه ضرورية للشباب ولصالح الوطن ، ولكنها عملية يجب أن تحاط بجو من البهجة ، فحرب التحرير والسجون والتضحيات الجسيمة قد تركت آثارا قاسية على هذا الجيل ، ولكن الحياة تستعيد حقوقها وبالتدريج تعود الابتسامة الى الافواه • ان الشباب هو ربيع الشعوب الزاحف الى الامام ويجب أن يعيد الشباب الى ثورتنا ابتسامتها من جديد » •

وفى الحجرة الصغيرة كانت الكلمات ما زالت تندفع من فم الجزائرية النحيلة « زينا ملوك » عضو مكتب وزير الشباب ، وهى تجلس خلف مكتبها اللامع النظيف : « الحل الوحيد لمشكلة التموين عقد اجتماع لتجار اللحوم والأرز والفواكه واقناعهم بضرورة تكوين جمعية تعاونية تحافظ على مصالحهم وفى الوقت نفسه تموننا بالمواد اللازمة للمعسكر بأسعار معقولة ، ويجب الذهاب فورا الى المتاجر للحصول على أكبر قدر ممكن من اللبن الجاف ، انهم يعرضون علينا احضار ملابس لكل متطوع فى المعسكر مكونة من بنطلونين وقميصين وحذاء وفوطة وجراب — الخ بسبعة آلاف فرنك ، حقا انها صفقة رابحة بالنسبة الينا » يا محمد هل جهزت المذكرة التى طلبتها منك ؟ أحضرها لى الآن •

وجلست هكذا قرابة نصف الساعة استمع الى المناقشات الصاخبة، والضحكات الرنانة ، وفى كل دقيقة تعرض مشكلة جديدة ليبحث لها عن حل •

« ادارة اشتراكية ! أين هى ؟ جهازنا لم يتغير بالقدر اللازم منذ أيام الاستعمار ، يجب أن نقوى الصلة بين المركز هنا وبين المعسكر فى « وادى فودة » حتى لا يضطر المسئولون الى ترك العمل والحضور الى هنا فى كل صغيرة وكبيرة » •

خرجنا من الحجرة الصغيرة الى الشوارع المزدحمة المشمسة، الجزائر كلها فى حالة حركة ونشاط ، المؤتمر الآسيوى الافريقى ، مؤتمر لجان التسيير الذاتى ، مؤتمر جبهة التحرير ، حملة التطوع ، وكل القضايا المطروحة ليتحمس لها الناس وينفعلوا بها ويشاركوا فيها كل بدوره المحدود •

تناولنا الغذاء فى مطعم شعبى قريب من شارع الشهيد « العربى

بن المهدى» ٠٠٠ زينا ملوك وزوجتى واثنان من الشباب ، وقالت لى «زينا» بعد أن فرغنا من شرب كوب اللبن الذى يقدم فى مثل هذه المطاعم ٠

« الشباب هم الذين اندفعوا فى معـركة التحـرير فاندفع وراءهم الشعب كله ، وهكذا أصبح كل شاب بمثـابة الشعلة التى تنير الطريق فى بيته وأمام عائلته، والشباب الذين يكونون ٥٤٪ من السكان فى بلادنا هم الذين يهمهم أكثر من غـيرهم أن تبنى الاشـتراكية فى الجزائر حتى تفتح أمامهم أبواب الحياة السـعيدة ، بل ان الاشـتراكية لن تبنى الا على أكتافهم ٠

لذلك أصبحت مسـألة خلق حركة منظمة واسـعة للمتطوعين من الشباب مسألة حيوية ، لتنظيم صفوف الشباب فى معركة الانتاج وفى معركة انتصار الافكار الاشتراكية فى كل مجال ، والخطوة الاولى فى ذلك تكوين قادة من الشباب ، قادة يكون لديهم التكوين الفـكرى والسياسى الذى يؤهلهم للقيـام بدورهم كدعاة وبناة للاشتراكية ، ويجب أن تقوم منظمـات الشباب بهـذا العمـل بنفسها ، فهـذا ليس مهمـة الادارات الحكومية » ٠

ثم استطردت « اذهب الى وادى فودة لترى الشرارة الاولى فى هذا العمل العظيم » ٠

قلت لها : « ألا تأتين معى ؟ قالت : « لا أسـتطيع ، اننى أعمل هنا ليل نهار » قلت « اذن أنت سـعيدة ، أليس العمل هنـا معنى الحياة ؟ » قالت « أحيانا يحن الانسان الى الراحة والقراءة ومباهج الحياة والثقافة » ولكن هذا ليس لنا ، انه للاجيال القادمة ٠ لقد حاربنا سبع سنوات والآن علينا أن نبنى ! »

« بوعلم معكوف » عضو سكرتارية منظمة الشباب لجبهة التحرير ، شاب عمره ٢٥ عاما، قضى منها ٦ سنوات فى السجون الفرنسية ، قابلته فى اليوم التالى فى قهوة « النوفلتى » وهو المكان الوحيد الذى أستطيع أن أذهب اليه دون أن أتيه ٠

ركبنا السيارة « الفولـكس فاجن » التابعة لمنظمة الشباب لتنطلق على الطريق الواسـع الأسفلت فى اتجـاه « وهران » لم أكن اتصور أن أرض الجزائر تحوى كل هذا الجمال ، الجبال ، الغابات الكثيفة ، والأرض المحروثة التى تبدو فى لون الطوب الاحمر ، اشترينا سلة من البرتقـال من أحد الصـبية الذين يقفون على جانب الطريق عارضين بضـاعتهم على

المسافرين ، وأكلنا خمسا أو ستا لنطفىء الظمأ الذى انتابنا من الدخان، الاسود الذىتصنع منه سجاير « الباستوس » الجزائرية ، ثم أخذت أجيب عن سيل من الاسئلة التى أطلقها « بوعلم » عن الجمهورية العربية المتحدة، وعن ثورتنا وعن كل علامات الاستفهام التى تشغل أذهان الجزائريين فيما يتعلق ببلادنا ٠

هكذا سار الحديثحتى غفوت من الاعياء، وصحوت بعد نصف ساعة تقريبا لأرى «بوعلم» يلتهم فصوص البرتقال ، ومررنا على قرية مبنية على شكل مربع فقال لى: «هذا مركز لتجميع السكان أيامالاحتلال ، لقد لجأ الفرنسيون الى تجميع ما يقرب من مليون من سكان المدن فى مثل هذه القرى التى كانت بمثابة معسكرات اعتقال ٠

وبعد قليل خرجنا فجأة من أحد الانفاق المنحوتة فى الجبل ومرقنا بجانب جدار عال كتب عليه بأحرف كبيرة بيضاء : « هيا يا شباب للعمل، عاشت حركة المتطوعين » ثم توقفت السيارة والتفت الى الشاب الذى كان يقودها لأول مرة ليقول : « معسكر وادى فودة » ٠

صعدنا عددا لا يحصىمن درجات السلم المنحوتة فى سفح الجبلحتى انقطعت أنفاسنا، ودخلنا عنبرا مطليا من الخارجبالجير الابيض ومن الداخل بلون زاه أقرب الى الاخضر وخلف أحد المكاتب المتناثرة جلست سيدة لم أعرفها حتى اقتربت منها ، كانت متلفعة بعباءة مراكشية وكوفية صوف على رأسها ، وتبدو صارمة الوجه ٠ وهى منهمكة فى تسجيل خطاب بن علا الحاج الذى افتتح حملة التطوع الوطنية للعمل بين الشباب ٠

وبعد دقيقة واحدة أدركت أنها زوجتى (١) ديدار فوزى، وهى المصرية الوحيدة التى تعمل فى وزارة الشباب الجزائرية منذ عام ١٩٥٨ أيام الكفاح المسلح ، عندما شاركت فى مساعدة المناضلين الجزائريين فى الاختفاء ، وعبور الحدود وبتقديم الجوازات والاثباتات الشخصية المزورة ونقل النقود من الجزائريين فى فرنسا لجبهة المقاومة فى الجزائر ٠

وقد ترتب على نشاطها أن قبض عليها البوليس الفرنسى فى أكتوبر عام ١٩٦١ وأودعت سجن « لاروكيت » ٠ وفى شهر فبراير عام ١٩٦٢ تمكنت من الهرب مع خمس من زميلاتها فى قضايا مشابهة ٠ واجتازت الحدود الى بلجيكا ثم الى سويسرا ، ثم استقرت فى مراكش حيث عملت

---

(١) كانت فى المعسكر للقيام بعملها كمستشارة فى وزارة الشباب ٠

مدرسة للشباب فى معسكر اللاجئين الجزائريين الذى أقيم فى مدينة وجدة ، على الحدود المراكشية الجزائرية ، وعندما دخل بن بيلا الى الجزائر انتقلت الى هنــاك تعمل مستشارة فنيــة فى وزارة الشباب ، وقد قامت بدور كبير فى تأسيس معسكر فودة ٠

تعرفت بعد قليل بالمسئولين الآخرين فى المعسكر، « رشيد مسئول التجهيزات » و « أربح » و « حداد » قائدى المعســكر ، و « بن يوسف » مسئول التموين وآخرين وهم جميعــا من المتفرغين لمهمــة تكوين كوادر الشباب ٠

ومعسكر وادى فودة على ارتفاع ٨٠٠ متر فى الجبل مكون من عدة مبان كبيرة وصغيرة مرصوصة على سفح الجبل ، وكانت فى وقت ما مركزا لأعمال التعذيب التى كان ينظمها جيش الاحتلال ضد الجزائريين !

هنا يتم الآن تجميع ٢٠٠٠ شاب من مختلف أنحاء الجزائر ليقضوا فى المعسكر مدة أربعــة شــهور يتلقون التدريب الذى يؤهلهم للقيــام بمسئولياتهم عند العودة الى قراهم ، وهم فى الوقت نفسه يقومون بأعمال التشجير على سفوح الجبال لايقاف عملية تآكل الطبقات الخضراء للارض ، وهو عمل شاق للغاية نظرا لوعورة الارض ٠

قال لى بن يوسف ، ونحن نطل من الجبل على البحيرات الخضراء التى تحتضنها الجبــال وكانت المرارة تقطر من صــوته : التــآكل ، انه عدو اكرهه ، انه يقضى على خصــب بلادنا ، ويسرق الخبز والغــذاء من أفواه الجائعين !

كان اليوم هو الأخير فىفترة تدريب المتطوعين، وعند غياب الشمس عادت الفرق من العمــل فى خطــوة عســكرية يقــودها رؤســاء الفرق ، واصطفت عنــد أســفل المعســكر وأنزلت راية الجمهورية الجزائرية أمام الصفوف الصامتة تخليدا لذكرى الشهداء ٠

ثم عقد اجتماع عام فى قاعة النادى شرح لهم فيه «بوعلم معكوف» واجباتهم عند عودتهم الى مواطنهم الاصلية، ونظمت عدة تمثيليات صغيرة عن العمل والاشتراكية فى الهواء الطلق حضرها سكان القرى المجاورة ٠

وفى أثناء مناقشاتى مع بعض الشبان قال لى أحدهم : « قبــل أن نحضر الى هنا لم نكن نعرف شيئا ، ولكننا الآن أمامنا فرص للعمل المفيد، اننا سنذهب الى أهلنا لنحمل اليهم الدعوة الاشتراكية ، ونحث الشباب

في كل مكان حتى ينهضوا ويعملوا • ان الاشتراكية تعنى زيادة الانتاج ، وزيادة الانتاج تعنى بدورها الجهد المنظم لملايين الناس ، هذا هو واجبنا •

وفى اليوم التالى اختفت الشمس من جديد خلف تجمعات السحب الكثيفة السوداء والرمادية التى كانت تحجب السماء وتلقى ضوءا قاتما على كل شيء ، أنا أكتب هذه الرسالة ونحن عائدون على الطريق الممتد من منطقة « اربقاش » الى مدينة الجزائر فى سيارة أحد أصدقائى المصريين وفى السيارة كنا ستة هم : فتحى وزوجته وطفلاه والسائق الجزائرى « بوعلم » وأنا • وهذا السائق هو أحد الاشخاص الذين أحببتهم فى الجزائر ، ذلك أنه لا يمل التنقل بين مختلف أنحاءالبلاد ، وهو مستعد على الدوام لتوصيلى الى « آخر الدنيا » لأن هناك فى « آخر الدنيا » لا بد أننا سنجد بقعة جميلة من أرض الجزائر ، بقعة أكرمتها الطبيعة وسخت عليها بالمناظر التى تبهر الانسان وتخطف أنفاسه من روعتها •

و « بوعلم » يحب وطنه وأرضه ، فعلمنى كيف أحبها أيضا ، وكلماته البسيطة ترن فى أذنى مثل الطرب !

كنا عائدين هذا الصباح من « اربقاش » ورياحين البرتقال تغزو الجو وتصل الينا فى دفعات قوية مع الريح عبر نوافذ السيارة ، وعلى جانبى الطريق تهز الزهور الصفراء ، والحمراء البنفسجية رءوسها • وتنبثق من الأرض الكروم اليانعة بأوراقها ، وأشجار الغابات تميل مع الريح وتتحدث بلغتها الهامسة والأطفال فى السيارة وجوههم نضرة وعيونهم تبرق بفرحة الرحلة •

كنا عائدين من « معركة الشجرة » ومعركة الشجرة هذه برغم اسمها الغريب هى احدى معارك الجزائر الرئيسية •

ذلك أن المطر المنهمر على سفوح الجبال والرياح الآتية من البحر ، والشلالات التى تندفع من أعلىالقمم مع ذوبان الثلوج عندما ينتهى البرد، ومختلف العوامل الطبيعية — تؤدى الى تآكل مستمر فى قشرة الارض السطحية ، وهذا التآكل يسد منافذ المياه وقنواتها ، ويفسد نظام الرى المبنى فى كثير من المناطق على تخزين المطر ومياه الشلالات خلفالسدود، كما يقضى على الطبقة الخصبة من الطمى الذى يغطى الصخور فيضعف صلاحيتها للزراعة، وقد ترتب على سياسة حرق الغابات التى اتبعها جنود الاحتلال الفرنسى لحرمان الجيش الشعبى ، وفرق المقاومة من الاختفاء فى الغابات — ترتب على ذلك الاسراع بعملية التآكل هذه ، ولذلك فان الحملة الشعبية لغرس الاشجار تهدف أول ما تهدف الى حل مشكلة اقتصادية

حقيقية تهدد مساحات واسعة من الأرض الصالحة للزراعة بالبوار (٤٠ ألف هكتار أى ٩٠ ألف فدان سنويا) ، وهذه الحقيقة تفسر أيضا اهتمام فرق المتطوعين من الشباب بحملة غرس الاشجار وعدها المهمة الاولى فى نشاطها •

كنا عائدين كما قلت من غرس الاشجار ، وعلى طول الطريق لمسافات لا تقل عن ثلاثين أوأربعين كيلو متر ازدحمت الطرقات بالسيارات واللوريات والأوتوبيسات المزدحمة بعمال الكهربا والسكة الحديدية والأطباء والممرضات ورجال الجيش الشعبى ورجال المطافىء والرواد والعمال الزراعيين يطلون بوجوههم السمراء ، وطلبة المدارس وطالباتها يتبادلون النكات والضحكات الرنانة ، وينشدون ويهتفون دون انقطاع ، والسيدات والآنسات الجزائريات ببراقعهن البيضاء ، ورجال الحكومة والسفارات الأجنبية فى سياراتهم ذات الرايات الرفرافة •

كانت الجزائر كلها كأنها خرجت للمساهمة فى هذا العمل ، فتدفقت الجموع منذ الساعة الخامسة صباحا تحمل شعاراتها وراياتها ، والشبان يجرون هنا وهناك لالتقاط الصور ، والجو مفعم بالفرح والتفاؤل والأيدى تلوح بفروع الاشجار ، والحناجر تردد اغانى حلوة ومنغمة •

لقد كان هذا اليوم خير دليل على مقدرة الحزب الوليد فى الجزائر على تحريك وتجنيد ملايين الجزائريين للاعمال البنائية ، وعلى استجابة هذه الجماهير للنداءات التى تعبر عن مصالحها •

عدت الى المدينة وقلبى ينبض ، وأحسست أن الشجرة التى غرستها على سفح الجبل عمل بسيط فى ذاته ، ولكنه رمز للصداقة الخالدة بين شعبين « انتصرت فيهما ارادة الحياة » •

وسرت فى شوارع الجزائر بين الناس تحت الأنوار المتلألئة ، مع العائدين من الجبل ، وفى الصباح الباكر لليوم التالى جلست أشرب القهوة الساخنة وأقرأ عناوين الصحف :

٢٠٠ر٠٠٠ شجرة فى اربقاش

١٢٠ر٠٠٠ شجرة فى كافور تغرس فى عنابة

٢٥ر٠٠٠ متطوع فى قسنطينة

٨ر٠٠٠ شجرة غرست فى بوجى خلال ساعتين

٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠ شجرة فى السنة المنصرمة و ٢٥ مليون شجرة فى السنة الحالية !

وسرحت مع الذاهبين الى مصانعهم ومكاتبهم ومدارسهم يسرعون الخطى فى سباقهم مع الزمن •

سرحت مع الشعب الذى يغرس أشجار المستقبل !



الفصل الثالث

الطلائع الجديدة

كنت أتناول العشاء مع السيد الاخضر الابراهيمى عشية سفرى الى الجزائر • وفجأة نظر الى بعيون تتطلع الى حلم بعيد وقال :

ــ متى تسافر الى الجزائر ؟

قلت :

ــ غدا •

فصمت قليلا ثم استطرد :

ــ الجزائر جميلة فى الربيع ، انك لانسان محظوظ •

قلت :

ــ نعم ، اننى أدرك هذا ، اذ يبدو أن الحياة تفتح لى ذراعيها بعد حرمان طويل ، لتضمنى الى صفوف الذين يزحفون نحو الربيع •

منذ اليوم الثانى لوصولى الى مدينة الجزائر ، استقبلتنى السماء بسيل من المطر لا ينقطع سوى بضع ساعات ليعود أقوى وأشد مما كان • ومع ذلك فكل شىء هنا ينبض بالنور والاشراق ! وعندما أفكر فى الحنين الذى بدا على وجه السيد الاخضر الابراهيمى أحس أنه كان يتذكر الربا الخضراء وأزهار الحقول والسماء الصافية ، ولكنه كان لا شك يفكر أيضا فى شىء أكبر وأعظم من كل ذلك ، فى الشعب الجزائرى الذى يعيش

اليوم أياما حاسمة فى مسيرته نحو المستقبل الذى اختاره لنفسه ... المستقبل الاشتراكى .

من بين الأحداث العظمى التى عاشتها الجزائر فى ربيع هذا العام احتل مؤتمر لجان التسيير الذاتى لعمال الصناعة مكانة خاصة : فالطريق الاشتراكى يتطلب أن توضع مقاليد الأمور فى المؤسسات والمصانع وجهاز الادارة وجهاز الحزب الوليد بين أيدى الطبقات ذات المصلحة فى بناء الاشتراكية ، هذه الحقيقة هى التى تفسر اهتمام الرئيس بن بيلا بهذا المؤتمر ، انه يرى فيه تعبيرا عن القوى الجديدة ، قوى الطبقات الكادحة التى تتقدم الصفوف ، للقيام بمسئوليات معركة التحول الاجتماعى ، من الأنظمة الاستعمارية الرأسمالية القديمة ، الى أنظمة اشتراكية جديدة .

وفى يوم ٢٢ من مارس احتفل العمال فى كل أنحاء الجزائر بالعيد الأول ، وهى القرارات الخاصة بنظام التسيير الذاتى فى المصانع والمزارع التى تركها الاستعماريون الفرنسيون محاولين بذلك دفع الجزائر الى هاوية الفوضى والافلاس الاقتصادى .

فى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم توجه عشرة آلاف من العمال الى ميدان « أول مايو » حاملين لافتات كتب عليها :

« عاش التسيير الذاتى أساس الاشتراكية » .

« لتحيا وحدة الكادحين فى المدينة والريف » .

« وحدنا صفوفنا بالدم ، واليوم نوحدها بالعرق » .

« لنقهر الرأسمالية » .

وقال بن علا الحاج فى خطابه :

« ان المكتب السياسى والحكومة والحزب قد ساندوا بكل قواهم العمل الثورى الذى تقومون به لنجاح تجربة التسيير الذاتى ، تلك التجربة التى هى الضمان لنقل السلطة السياسية الى أيدى الكادحين ، والشرط الضرورى لبناء الاشتراكية » .

وفى ٢٩ من مارس عقد مؤتمر التسيير الذاتى ، وحضره ١٨٠٠ مندوب عن العمال الصناعيين ، عدا ممثلى الحكومة والتنظيمات الجماهيرية المختلفة ، وعندما صعد بن بيلا الى المنصة استقبلته الأيدى الخشنة

بالتصفيق الحار ، وزلزلت جدران قاعة سينما « ماجستك » بالهتاف ، ثم خيم الصمت الكامل على الجموع عندما بدأ خطابه بأن قطع على نفسه وعدا بالتزام قرارات المؤتمر ، ثم استطرد :

ـ « ان القطاع الاشتراكى فى الجزائر لا يمثل سوى ١٢ أو ١٥ ٪ من الصناعة ، ويجب ألا تبقى النسبة فى هذه الحدود ، يجب أن تتسع بسرعة حتى نتمكن من بناء بلادنا » •

« وبحق هذا الربيع المشرق الذى يطل على بلادنا ، أعدكم أن القطاع الاشتراكى سوف يتدعم ويقوى ويتسع باطراد » •

لقد أصبح نضال الشعب الجزائرى مسألة تجذب اهتمام الشعوب العربية ، والرأى العام العالمى التقدمى ، شأنه شأن المسيرة المجيدة للشعب المصرى منذ انطلاق « ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » •

والثورة الجزائرية هى أحد الأمثلة الواضحة ، التى تدل على توازن القوى الجديد الذى ساد العالم فى السنين الأخيرة ، التوازن بين الثورة المندفعة عبر طريق الاشتراكية ، وقوى الثورة المضادة ، الرجعية، التى تريد أن تحافظ على الأوضاع القديمة ، والمجتمعات القديمة العاجزة عن حل مشاكل الشعوب فى العصر الحالى •

ان الاندفاع الثورى الذى يتسم به نضال الشعب الجزائرى ، مثله مثل الزحف العنيد لقوى الثورة الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة، هو تعبير مجسد عن رغبة الشعوب العربية ، فى التخلص من التخلف الاقتصادى والسياسى والثقافى ، الذى عانت منه طويلا فى الماضى ، والذى ورثته من عصور الاستعباد الاستعمارى ، وذلك بأقصى سرعة ممكنة •

وقد أدركت الثورة الجزائرية ، فى مرحلة الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسى ، ذلك الدور الهام الذى تستطيع جماهير الفلاحين أن تقوم به فى المعركة ضد الاحتلال الاجنبى • ولكن هذا الدور لم يتوقف ، بل امتد حتى بعد انتهاء المعركة المسلحة وحصول الجزائر على استقلالها السياسى ، فقد كان الفلاحون فى الجزائر ، شأنهم شأن اخوانهم فى مصر ، أكثر الطبقات التى تعانى من التخلف والفقر والمرض •

وكانت حدة المشكلة الزراعية ، وسيطرة الاستغلال الاقطاعى والرأسمالى الكبير ، هى التى فرضت الحل الاشتراكى أمام الجماهير الكادحة

في الريف ، فزحفت لتحتل المزارع الشاغرة بعد أن تركهـا الملاك الفرنسيين .

القوى الجديدة :

ولكن في مرحلة التحول الاشتراكي ، التي تفترض وضع مفاتيح الاقتصاد الجزائري بين أيدي الدولة الجزائرية ، والتي تتطلب أيضـا بناء الاقتصاد المستقل بخطى سريعة ، وخاصة الصناعة الثقيلة ، يبرز دور العمال الى جانب دور الفلاحين في معركة التحول الاشتراكي التي تخوضها الجزائر الآن في ميادين السياسة والاقتصاد .

لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن تنبثق تجربة التسيير الذاتي الى الوجود في المصانع والمزارع في آن واحد ، غداة رحيل الملاك الفرنسيين من المدن ومن الريف ، تاركين مؤسساتهم ومزارعهم عاطلة عن العمل .

وقد بدأت الثورة الجزائرية خطواتهـا الأولى والأساسية في هذا الاتجاه ، عندما وضعت المصانع والمزارع الشاغرة ، تحت اشراف الفلاحين والعمـال ، الذين يعملون فيهـا ، بمقتضى قرارات مارس عـام ١٩٦٣ المشهورة ، فخلقت قطاعا اشتراكيـا واسع النطاق نسبيا ، في الاقتصـاد الوطني .

وكانت هذه الخطوة ، نتيجة للمبادرة الجماهيرية من الفلاحين والعمال الذين قرروا ، عندما ترك ٨٠٠ ألف أجنبي المصانع والمزارع ، قـرروا أن يشرفوا على هذه المصانع والمزارع بأنفسهم لحساب الشعب ، فكونوا لهذا الهدف لجان التسيير الذاتي .

وفي شهر نوفمبر المـاضي ، عقدت لجـان التسيير الذاتي في القطاع الريفي مؤتمرها الاول ، ثم تبعهم لجان التسيير الذاتي في القطاع الصناعي الذي عقد بين ٢٩ ، ٣١ من مارس .

وهكذا وجدت الجزائر نفسها مدفوعة بحكم الظروف الموضـوعية ، وكذلك بحكم السياسة الثورية لحكومة بن بيلا ، في طريق يؤدي الى خلق قطاع مؤمم ، مبني على التخطيط الاقتصادي ، ويدار بوسـاطة العمال والفلاحين أنفسهم ، انه قطاع اشتراكي بمعنى الكلمة .

ويشمل هذا القطاع المؤمم ٣٠٠ ألف هكتار (١) من الأراضي ، ومـا

---

(١) الهكتار ٢ ١/٥ فدان .

يقرب من ٤٥٠٠ مؤسسة صناعية وتجارية ، كلها متوسطة أو صغيرة ٠

وهكذا فى فترة وجيزة لا تتعدى السنة الواحدة تتجه الجزائر بسرعة نحو اقامة الهيكل الاقتصادى والبناء السياسى الذى يميز الدول الاشتراكية عن الدول السائرة فى طريق التطور الرأسمالى : قطاع دولة مبنى على التخطيط وعلى الادارة الديمقراطية للعاملين فيه من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ٠

وفى كل مؤسسة ومزرعة الآن لجنة تسيير ذاتى ينتخبها العمال ، أو العمال الزراعيون ، مسئولة عن ادارتها ، وتعقد مؤتمرات دورية لكل العاملين فى كل مجال بهدف مراقبة أعمال اللجنة ومحاسبة اللجان أو الأفراد الذين يثبت بمرور الزمن أنهم غير صالحين للقيام بمسئولياتهم ، وكذلك تحديد برنامج العمل والسهر على تنفيذه ٠

ولجان التسيير الذاتى هى التى تضع خطة الانتاج ونظام العمل ، وطريقة توزيع الدخل ، وبفضل هذا النظام قضى على الوضع الاستغلالى بالنسبة للعمال ، لأن الدخل كله يوزع بين العمال أنفسهم ، مع اقتطاع جزء منه لعمليات الاستثمار الجديد فى المؤسسة ، وجزء آخر لاضافته الى صندوق الاستثمار الوطنى الخاص بعمليات التصنيع التى تقوم بها الدولة ، وجزء أخير يقدم لصندوق التضامن المخصص لمساعدة العاطلين ٠

وهكذا يتوقف أجر العامل على كمية الانتاج ، فكلما زاد الانتاج ارتفع دخله ، وفى المدة التى امتدت بين ٢٢ من مارس ١٩٦٣ و ٢٥ من مارس ١٩٦٤ ، لوحظ بالفعل أن المؤسسات الصناعية والمزارع الخاضعة لادارة العمال والفلاحين ، تمكنت برغم كل الصعوبات من أن تنظم الانتاج وترفع مستواه ، وهذا انتصار حاسم على الذين كانوا يشككون فى قدرة العمال والفلاحين على ادارة شئونهم بأنفسهم ٠

ان أهمية مؤتمر لجان التسيير الذاتى فى الصناعة ، لم تكن فقط فى أنها التعبير عن القوى الاشتراكية الصاعدة فى المجتمع ، ولكنها كانت تتمثل أيضا فى الميعاد الذى اختير لانعقاده ذلك انه جاء قبل انعقاد مؤتمر جبهة التحرير الوطنية الذى وضع الأسس الفكرية والسياسية لحزب الثورة الطليعى ، وهذا التوقيت يعنى أن صفوف القوى الاشتراكية كانت تسعى الى تنظيم نفسها ، حتى تكسب المعركة نهائيا ، ضد كل القوى المعادية للطريق الاشتراكى ، سواء كانت آتية من اليمين أو من اليسار المتطرف (التروتسكيين والمتأثرين بهم) ٠

ونظرة لبعض القرارات التى اتخذت فى مؤتمر لجان التسيير الذاتى، تكفى لكى ندرك مدى وعى العمال لمسئولياتهم ، فى كسب معركة التحول الاشتراكى ، التى لم تحسم بعد فى الجزائر ، بسبب نفوذ الاحتكارات الأجنبية الفرنسية •

فقد أيد المؤتمر الطريق الاشتراكى الذى اختارته جبهة التحرير الوطنى وحكومة الجزائر ، كما أوحى بضرورة تصفية العناصر المعادية للاشتراكية فى الادارات الحكومية ، وفى كل المنظمات الجماهيرية والحزبية، واتخذ المؤتمر موقفا حاسما من دور الحزب القيادى فى معركة التحول الاشتراكى ، وأكد ضرورة قيامه بدوره القيادى فى كل المجالات ، بما فيها مؤسسات التسيير الذاتى • ونبه الى أهمية تكوين خلايا حزبية فى هذه المؤسسات من أحسن العناصر المناضلة •

وأوصى المؤتمر بضرورة تدعيم وتوسيع قطاع الدولة ، واقامة بنك لتمويل قطاع التسيير الذاتى ، وتأميم التجارة الخارجية ، وادماج المؤسسات الصغيرة والمتوسطة لتكوين وحدات انتاجية كبيرة •

قلت لنفسى وأنا أغادر قاعة « الماجستيك » بين جموع العمال المتظاهرين :

ـ حقا ، ما أجمل الحياة فى أيامنا هذه ، حيث يصنع الانسان البسيط مستقبله بيديه !

الفصل الرابع

مدرسة « ميديا »

كنت أجول بالسيارة « الفولكس فاجن » عبر الطرق الواسعة التى تخترق الأراضى المحروثة الحمراء ، والجبـــال والغابات ، وأنا عائد من معسكر تدريب الجيش الشــــعبى الجزائرى ، القابع فوق قمة الجبل على ارتفاع ألفي متر عن سطح البحر ، وأتطلع الى القمر الذى يختفى أحيانا خلف الصخور العالية ليعود ثانية الى الظهور • وأخذت استرجع شريط الصور التى مرت أمام عينى منذ أن وطئت قدماى أرض الجزائر ، وتوقفت لسبب لا أدريه عند عملية تركيب التجهيزات الصـــحية ومحطة تطهير المياه الصغيرة فى معسكر « وادى فودة » ، ثم عند الطفل الرضـــيع الذى كشفت عليه بالأمس فى منزل أحد العمـــال الجزائريين ، والذى لم يكن عمره قد تعدى العشرين يوما •

وفجأة غمرنى احساس عميق ، بأن أجمل مهنة فى الوجود ربما كانت تلك المهنة التى تحارب الموت فى سبيل الحياة ، وتسعى الى هزيمة الخريف حتى يعيش الانسان ربيعا أبديا •

لذلك قررت في هذه الليلة ، وهى ليلة ١٥ من ابريل أن أعــود الى مهنتى الأصلية وأن أكتب شيئا عن الصـــحة والطب ، وحتى أتمكن من القيام بهذه الدراسة التى لا يمكن أن تكون متكاملة نظرا لضيق الوقت، استعنت بتقارير ادارة الصحة الجزائرية ، وطلبت من المسئولين السماح لى بزيارة بعض المنشئات الطبية فى المدينة والريف •

من بين المشاكل الاجتماعية الكثـــيرة والمتعددة التى تواجه الجزائر

الآن ، تحتل المشكلة الصحية مكانة خاصـــة ، بحكم التركة الثقيلة من الأمراض التى خلفتها عهود الاستعمار ٠

وللتدليل على ذلك نورد بعض الحقائق الهامة ٠

نسبة الوفيات لكل ألف من الأطفال الذين لا تزيد سنهم على سنة واحدة ١٧٠ على حين أن النسبة فى فرنسا ٢٨ فى الألف ! هذا على حين أن كثافة السكان فى الجزائر على أساس التعداد الأخير (١٠ر٤٠٠ر٠٠٠) مقدار خمسة فى كل كيلو متر مربع (الكثافة فى ايطاليا ١٠٠ لكل كيلو متر مربع و٧٥٠ من السكان فى الكيلو المربع بالجمهورية العربية المتحدة ٠

وهذا يعنى أن السكان فى الجزائر موزعون على مناطق واسعة ، مما يجعل توصيل الخدمات الصحية اليهم أمرا شاقا للغاية ، خصـوصا اذا راعينا فقدان وسائل النقل الحديثة فى بلد ما زال يتسم فيه الاقتصاد بالتخلف نتيجة للاستعمار الطويل ٠

والمشكلة الاساسية التى تواجه المسئولين عن الصـحة فى الجزائر ليست عدد المستشفيات أو المؤسسـات الصحية التى تكفى مؤقتـا الاحتياجات المباشرة (عدد الاسرة مثلا ٣ر٥ لكل ألف من السكان) ولكن النقص أساسا فى الاطباء والمرضين ومساعدى المعمل ومساعدات المولدات والفنيين فى مجالات الصحة المختلفة ٠ والسبب فى ذلك يرجع الى أن عدد الكوادر الطبية والصحية محدود للغاية فلا يجد سوى ١٣٦١ (١) طبيبا، ٣٦ ٪ منهم أى ٤٨٧ طبيبا لا يعملون فى الادارات الحكومية ، بل يركزون كل جهودهم على العمل الحر ٠

فاذا قمنا بدراسة سريعة لطريقة توزيع الأطباء على حسب المناطق نجد الآتى :

مدينة الجزائر	طبيب لكل ٧٩٠ من السكان
مقاطعة الجزائر	طبيب لكل ٣٥٥٢ من السكان
مقاطعة وهران	طبيب لكل ٤٣٩٥ من السكان
مقاطعة قسنطينة	طبيب لكل ١٠٩٧٤ من السكان
مقاطعة أومـال	طبيب لكل ١٨٨٤٩ من السكان
مقاطعة كورنيل	طبيب لكل ٦٢٨٠٤ من السكان
مقاطعة جيلفـا	طبيب لكل ١١٠٦٦٤ من السكان

وحتى تتمكن الجزائر من توفير طبيب لكل ٧٦٤٠ من السـكان اضطرت الى الاستعانة بالأطباء الأجانب وهكذا نجد فى الجزائر الآن :

(١) فى ج٠ع٠م٠ ١٣ ألف طبيب يخدمون ٢٦ر٤٠٠ر٠٠٠ من السكان ٠

٢٨٨ طبيبا فرنسيا
٢٠١ طبيبا من البلغاريين
٥٨ طبيبا يوغوسلافيا
٣٣ طبيبا كوبيا
١٨ طبيبا مصريا
١٨ طبيبا مجريا

هذا بالاضافة الى عدد من الأطباء الامريكيين والبولنديين والبرتغاليين والايطاليين والألمان والصينيين والسوفييت والسوريين ، على حين لا يوجد سوى ٢٥٠ طبيبا جزائريا فقط ، منهم ١٨٩ من الأطباء غير الحكوميين .

والجزائر تحتاج الى ٢١٠٠ طبيب آخرين حتى تصل الى النسبة التى فى الهند ، والى ٣٠٠٠ طبيب حتى تصل الى المستوى الذى فى تركيا .

ومع ذلك لا يوجد فى الكليات سوى ٤٧١ طالب طب بشرى ، و ٨٨ طالب طب أسنان و ١٠٤ فى كلية الصيدلة !

لقد ترك الاستعمار الفرنسى بعض المبانى الفخمة والمستشفيات المجهزة ، ولكنه لم يترك كوادر جزائرية مدربة فى مجالات العمل الطبى والصحى المختلفة .

ولذلك فعندما ترك الأجانب ، والفرنسيون بالذات ، الجزائر عائدين الى بلادهم ، وجدت الحكومة الجزائرية نفسها فى مجال الصحة شأنها شأن المجالات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى مواجهة بحالة قريبة من الانهيار الكامل فيما يتعلق بالخدمات الطبية والعلاجية والوقائية .

وهذا هو ما دفع حكومة الجزائر الى رسم خطة صحية تتسم بطابع خاص ، خطة تعتمد فى المقام الأول على تكوين الكوادر الطبية والصحية بأقصى سرعة ممكنة ، مع الاهتمام بالتجهيزات فى حدود معينة لا تتعدى العيادات المتنقلة (كحل للتغلب على مشكلة انخفاض كثافة السكان) وأجهزة الأشعة والمعامل .

لذلك نجد أنه فى خلال سنة واحدة تلقى ألف طالب من الصحيين الفنيين (ممرضات وممرضين ومساعدى معامل ومساعدين فنيين للأشعة ومساعدين فنيين للتخدير) تدريبا مركزا فى المستشفيات كما زيد عدد الطلبة الذين يتلقون التدريب فى المعاهد الصحية المختلفة من ٤٠٠ طالب قبل الاستقلال الى ١٠٧٤ خلال سنة ونصف السنة .

مررت « بميديا » وأنا عائد من زيارتي لمعسكر الجيش في «بوجاري» حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وتوجهت الى معهد الفنيين الصحيين بعد عشر دقائق من وصولى الى « ميديا » ٠

ويرجع الفضل في تأسيس هذا المعهد لا الى الجهود الشاقة التى بذلتها ادارة الشئون الصـــحية فى الجزائر فحسب ، ولكن أيضـــا الى مساعدات بعض الأصدقاء الأجانب ٠

وفى المعهد الى جانب اثنين من الأساتذة الجزائريين المسئولين عن الثقافة العامة ، ثلاثة من البلجيكيين ، وطبيب فرنسى ، وطبيب مصرى وطبيب من جزيرة هايتى ، وطبيب يوغوسلافى ٠

والدافع الأساسى وراء تأسيس معهد « ميديا » هو النقص فى عـــدد الأطباء والفنيين ، فقد أثبتت العمليات الحسابية البسيطة أن الاعتماد على تخريج أطباء جامعيين يقضون ما يقرب من ست أو سبع ســـنوات فى الدراسة بعد حصولهم على الشهادة الثانوية ، سيؤدى حتما الى عدم توفير العدد الكافى من الأطباء فى الجزائر حتى بعد مرور عشر سنوات ٠ لذلك تأسس معهد « ميديا » للفنيين الصحيين ٠

ويعمل هذا المعهد مثل المدارس الداخلية ، فيتلقى الطلبـة خمس ســاعات من المحاضرات ، موزعة على الحصـــص المختلفة ، وساعتين من التدريب العملى ، وهذا لمدة ١١ شهرا فى السنة ، مما يسمح لهم خلال ثلاث سنوات بانهاء البرنامج تقريبا وهو الذى يتطلب سبع سنوات فى كلية الطب ٠

« عدد أكبر من الأطباء فى مدة أقصر » ، كان هذا هو الشعار ولكنه لم يكن سوى فكرة يجب تحويلها الى واقع ، وتتطلب حل كل المشـــاكل التى ستنبع خلال التنفيذ : المبانى والعدد المختلفة والتجهيزات والكتب والأساتذة ٠

وقد تحدث الينا مدير المدرسة السيد مأمونى ، عن هذه المصاعب ، فى كثير من التواضع ، ولكن يمكن أن نتصور جســامة العمل الذى كان مطلوبا :

ـ « لقد صدر القرار الخاص بتأسيس معهد « الفنيين الصحيين » فى شهر أكتوبر ، ولكن فى شهر أكتوبر عادة ماتكون اعتمادات الميزانيات المختلفة قد صرفت بالفعل ، وهكذا كان لابد لنا من نبدأ دون أن تكون

لدينا أى موارد مالية ، خلقنا كل شيء من لاشيء ! وأقمنا التأسيسات والتجهيزات « بما فيها من الورق » عن طريق الاعارة » .

والآن يعيش ٤٥ طالبا فى المعهد ويتابعون دراساتهم ، فهم ٤١ طالبا وأربع فتيات ، وتتردد أعمارهم بين ١٧ و ٢٥ سنة ، وأغلبهم من أصول شعبية ، أبناء أو بنات فلاحين . انهم يبذلون جهودا مضنية ، خمس ساعات من الدراسات النظرية ، ثم ساعتين للتدريب العملى فى المستشفى يوميا .

أما المحاضرات برغم التقارب الشديد بينها وبين تلك التى تلقى فى كلية الطب ، فقد روعى ادخال بعض التعديلات عليها ، نظرا لمستوى الاستعداد الناقص للطلبة الذين يتقدمون للمعهد بالشهادة الاعدادية فقط .

والأساتذة لا يلقون محاضرات متخصصة ، بمعنى أنه لا يوجد أستاذ يعطى سلسلة محاضرات فى الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) وآخر فى الباثولوجيا (علم الأعضاء المريضة) أو التشريح ، وانما يعطى الأستاذ الواحد برنامج محاضرات عن تشريح وفسيولوجية وباثولوجية الجهاز الهضمى مثلا أو الجهاز التنفسى الخ .

وهذا يسهل على الطلبة ادراك الترابط والعلاقة الوثيقة التى بين هذه الفروع ، كما ان الاستاذ الذى عادة ما يكون متخصصا ومتفرغا فى فرع من فروع الطب ، يتمكن من تعميق الدراسات التى يدرسها للطلبة خلال الساعتين اللتين يقضونها فى التدريب العملى داخل المستشفى .

يضاف الى ذلك أن هناك ثمانى ساعات أسبوعيا للدراسات العامة، الطبيعة ، الكيمياء ، الرياضيات ، التاريخ ، الجغرافيا ، اللغة العربية واللغة الفرنسية .

أما الأستاذان الجزائريان فقد حصلا على دبلوم فى الصحة العامة من الولايات المتحدة ، ولذلك يشاركان فى القاء محاضرات عن الصحة العامة .

يقول السيد مامونى :

ـ « لقد بدأ الاساتذة العشرة هذه التجربة الجديدة وهم فى حالة قلق شديد على فرص نجاحها ، ولكن بعد ثلاثة أشهر ، وبعد أن لمسوا بأنفسهم مدى التقدم الذى أصابه الطلبة ، ورغبتهم الأكيدة فى التعلم ، ومعنوياتهم المرتفعة ، اختفت كل شكوكهم » .

ويخصص لكل طالب أستاذ تقع على عاتقه متابعته شخصيا ، خلال مدة الدراسة ، وتستغرق كل محاضرة ثلاثة أرباع الساعة ، والدقائق العشر الأخيرة تخصص للأسئلة ، وكل طالب لا يفهم الدروس التى يتلقاها يمكنه الالتجاء الى الاستاذ المخصص له ، ليقوم بشرح ما استعصى عليه فهمه ٠

ومرة فى الأسبوع ، يوم الأحد صباحا ، خلال أربع ساعات ، ينظم نوع من الامتحان الشفوى السريع لمراجعة دروس الأسبوع ، بأكملها ، ولكل طالب دوسيه تدون فيه كل الملاحظات الخاصة به ٠

وكل يوم خميس يجتمع الاساتذة لدراسة الدوسيهات الخاصة بالطلبة ، ويفحصون كل حالة على حدة ، حتى يتمكنوا من تحديد الطلبة الذين يحتاجون الى مساعدة خاصة ، وخلال هذا الاجتماع ، يناقش برنامج الدراسة ، وأساليب التدريس والنتائج الخ ٠ ويخلق هذا الأسلوب فى العمل حالة من الحماس يصعب وصفها ، فقد لمستها بنفسى ورأيت معالمها واضحة أمامى ٠

والطلبة عند انتهاء السنوات الثلاث يتسلمون الدبلوم « الفنى الصحى » ، وعليهم عندئذ أن يقضوا أربع سنوات فى الريف ٠ وخلال هذه المدة توفر لهم امكانية متابعة الدراسة عن طريق المراسلة ، ويعودون مرة كل سنة لمدة شهر الى المعهد لحضور برنامج دراسى خاص ٠

وبعد مضى سبع سنوات ــ ثلاث منها دراسية ، وأربع سنوات عمل فى الريف ــ يمكنهم دخول كلية الطب فى السنة الرابعة ، ومن المقدر أن يتبع ١٠ أو ١٥٪ من الطلبة هذا الطريق ٠

وفى أثناء السنوات الأربع لنشاطهم العملى فى الريف يطلب منهم أن يكونوا كوادر ذوى عدة أوجه فى نشاطهم الذى لن يقتصر على النشاط الصحى فحسب ، ولكن سيمتد أيضا الى ميادين أخرى خاصة بالتعليم والدعاية الصحية الجماهيرية ٠

ومن الواضح أن الطلبة يدربون بالفعل للقيام بهذا العمل ، ان الوصف الذى يجب أن يطلق عليهم أنهم « مناضلون صحيون » ٠

وكم كانت روح الحماس بادية على تلك الطالبة الشابة ، عندما وضحت لى أنه سيقع على عاتقها ، ليس القيام بعلاج المرضى والمصابين فحسب ، ولكن أيضا القيام بنشاط اجتماعى بين جماهير الفلاحات فى الريف ٠

وقد طفت بمبانى المعهد التى تتم بالبساطة المتناهية : هناك مستشفى يسع ٦٠٠ مريض ومبنى المعهد المخصص لسكنى الطلبة والطالبات عبارة عن مربع ذى طابقين • والطلبة يعيشون مجموعات من ستة أفراد فى كل حجرة ، وتخصص حجرة لكل اثنين من البنات • وفى كل حجرة أثاث بسيط عبارة عن أسرة وموائد ودواليب •

وفيما يتعلق بالتدريس، توجد حجرة واسعة (صالة) فى الطابق الأرضى ، وحجرة للمطالعة والدراسة ، ومكتبة صغيرة ، وقاعة للمحاضرات تسع مائة طالب ، ثم صالة أخرى للتشريح بها ست مناضد ، كما تبنى الآن قاعة كبيرة جديدة للمكتبة ، وقاعة للتجارب ، ومبنى صغير لا قامة جمعية تعاونية ، والطلبة يمارسون الألعاب الرياضية ، وقد شرعت ادارة المعهد فى بناء قاعة للرياضة •

وفى السنة القادمة تقرر قبول ٣٠٠ طالب وطالبة من أنحاء الجزائر المختلفة ، وفى الوقت نفسه ستؤسس فى « ميديا » مدرستان جديدتان احداهما لمساعدات المولدات ، والأخرى للممرضات •

وبعد أن تستقر الدراسة فى معهد « ميديا » تنوى وزارة الشئون الاجتماعية فتح معهدين مشابهين له فى عنابة وتلمسان •

***

هذه صورة مبسطة للطريقة التى تعالج بها حكومة الجزائر الثورية المشاكل التى خلقها الاستعمار فى مجال تكوين الكوادر الصحية والطبية •

وقد أوردتها على أنها تجربة جديرة بالتأمل ، تجربة تبين كيف أن الايمان برسالة الحياة والصحة ، الايمان برسالة الاشتراكية ، وبأن البراعم الشابة هى التى ستتفتح لتنشر رياحينها عبر الأراضى الشاسعة الأطراف ، الى القرى النامية البعيدة ، والمناطق المتخلفة فى بطون الجبال •

كيف أن هذا الايمان يستطيع أن يفتح الباب ، أمام حل أصعب المشاكل وأعقدها •



الفصل الخامس

حديث عن المسرح

دلفت من الباب الجانبى الصغير فى مبنى « المسرح القومى » الجزائرى الذى يتصدر ميدان بورسعيد فى عاصمة الجزائر لأجد رجلا طويل القامة، حاد التقاطيع ، وكأنها منحوتة من صخر الجبل ، يقف خلف الباب ٠ فبادرنى بالسؤال :

ــ ايش تكون ؟

قلت :

ــ أنا مصرى ٠ اسمى الدكتور شريف حثاتة ٠

قال :

ــ من تريد ؟

ــ بوضيا ٠

فسألنى :

ــ معك ميعاد ؟

قلت :

ــ نعم ٠ فى الساعة الخامسة ٠

فتركنى وتوجه الى داخل المبنى ثم عاد بعد قليل ، وقادنى فى صمت الى حجرة صغيرة قريبة من الكواليس ٠ وعندما دخلت الى الحجرة وجدت رجلا متوسط الطول ، ممتلىء الجسم ، وجهه هادىء وصارم فى الوقت نفسه

كان يجلس خلف مكتب من الفورمايكا ، رمادى اللون ، وهذه المكاتب تجدها فى كل مكان ، فقد تركتها الادارة الفرنسية عندما نزحت عن الجزائر لتسلم البلاد الى اصحابها ·

قام بوضيا مرحبا ، وبعد أن أجلسنى سألنى :

ـ تشرب قهوة « فرنساوى » ؟

قلت :

ـ نعم ، أشكرك ·

وقدم لى لفائف « الباستوس » السوداء ، ثم أخذنا نتحدث ، وبعد قليل أصبحنا مثل الأصدقاء الذين يعرف بعضهم بعضا منذ مدة طويلة · كان بسيطا ، عمليا ، يتحدث بحرارة عن كل ما يتعلق بالثقافة العربية ، ويبدى اهتماما خاصا بتطورات الحركة الثقافية فى مصر ·

ومحمد بوضيا رجل عمره ٣٢ سنة ، متزوج وله طفلان ، عمل بالمسرح منذ ١٩٤٩ ، منظما لفرق الهواة ، ثم للفرق المختلفة ، خلال الحرب الوطنية ضد الغزاة الفرنسيين · وكان عضوا فى جبهة التحرير طوال هذه الفترة ، ثم قبض عليه فى عام ١٩٥٨ بتهمة تخريب المنشآت البترولية ، وحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة عشرين سنة ، ولكنه تمكن من الهرب من سجن انجيريس فى فرنسا خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٦١ ، وانتقل الى تونس ليعمل مديرا للفرقة الفنية الجزائرية .

وعندما أعلن الاستقلال وقف موقفا حاسما الى جانب المكتب السياسى لجبهة التحرير بقيادة بن بيلا ، ونادى بتأميم المسرح الجزائرى .

وفى يناير ١٩٦٣ صدر قرار بتأميم خمسة مسارح جزائرية ، واصبح مديرا عاما لها .

وهو الآن عضو الجبهة الثقافية فى جبهة التحرير ، ومدير تحرير المجلة الثقافية التى تصدرها اللجنة باسم « نوفمبر » · وفى شهر ابريل عين ايضا مديرا لتحرير اول جريدة مسائية جزائرية واسمها « الجزائر هذا المساء » .

قلت له :

ـ هل لديك فى ان تدلى بحديث للقراء المصريين حول المسرح الجزائرى ؟

قال :

ــ بكل سرور .

فسألته :

ــ ما الاتجاهات الفكرية التي تتصارع في الحركة المسرحية الجزائرية ؟ وما انعكاسات هذا الصراع ؟

قال :

ــ ليست هناك اتجاهات فكرية متعارضة بمعنى الكلمة داخل حركة المسرح الجزائرى ، او بين الفرق المختلفة التى تعمل فى هذا المجال ، ولكن يمكن القول أن هناك عناصر ما زالت دون وعى منها أسيرة بعض المفاهيم البورجوازية ، وهذه العناصر تحاول أن تفصل الفن عن العمل الاجتماعى والسياسى ، وان كان يمكننى أن أقول : ان فكرة المسرح الملتزم هى التى تنشر ظلالها على المسرح القومى الجزائرى . أما فى القطاع الخاص فى المسرح ــ فما زالت فكرة التمثيل من اجل التمثيل تسود هذا القطاع ، وبالطبع هذا القطاع من المسرح لا يضم المسرح التلقائى ، الذى يزدهر فى أماكن متفرقة من البلاد ، وان كان عيب هذا المسرح انه يفتقر الى التكوين الفكرى مما يجعله بعيدا عن الارتباط بالمسرح الثورى .

ــ اذن هناك بوادر صراع بين اتجاهين ؟

ــ يمكن القول ان هذا الصراع لم تتضح معالمه بعد ، لأن المسرح ما زال حديث السن نسبيا ، وبوادر هذا الصراع يمكن تلخيصها فى اتجاه ينادى بمسرح مرتبط بالمعارك الاجتماعية والسياسية ، وبين فئة ما زالت تحكمها الثقافة الاوربية التى تحاول الاحتفاظ بهذا الفن كوسيلة من وسائل التسلية .

وسألت مدير المسرح الشاب عن المشاكل التى تواجه خلق مسرح قوى أصيل ؟

فأجاب :

ــ ان أهم مشكلة تواجه المسرح الجزائرى اليوم انما هى التأليف المسرحى ، فالمسرح حديث العهد فى ارضنا ، ونحن نفتقر الى المخرجين والمؤلفين والنقاد الذين يستلهمون أرض الجزائر ، وان كنت على يقين

من أن تغيير البناء السياسى والاقتصادى فى بلادنا سوف يتيح الفرصة لعدد كبير من المواهب الجديدة التى يمكنها أن تقود حركة مسرحية أصيلة وناجحة ولا سيما أن هناك أنواعا متعددة من الالعاب الجماعية والمسرحيات الثقافية والمداحات تعيش بين الناس برغم ١٣٠ عاما من الاحتلال ، يمكن أن تكون أساسا لفن مسرحى أصيل .

— ولكن ما الطعام الذى يعيش عليه المسرح اليوم ؟

— فى انتظار هذه المواهب الشابة نشجع كل الذين يحاولون معالجة المسرح ونقدم بوجه خاص كل ما كتب خلال حرب التحرير ، وما كتب بعد الاستقلال ، ويمكننى أن أقول : انه قدم على خشبة المسرح كثير من المسرحيات الممتازة ، كما اننا حررنا وترجمنا مسرحيات لبرخت وكالدرون وموليير وأوكيسى .

وسألت الرجل المسئول عن أكبر مسرح فى الجزائر — عن عدد الفرق المسرحية وطريقة ادارتها فقال :

— ان هناك عددا من الفرق المحترفة وشبه المحترفة ، وفرق هواة تمتد فى طول البلاد وعرضها ، ويصل عددها الى ٤٥ فرقة ، ولكن المسرح القومى يعد الأب الكبير بالنسبة لها من حيث عدد أعضائه وجودة انتاجه . وتنقسم الفرقة الى عدد من المجموعات تضمن للمسرح نظاما دوريا مستمرا ، وفى البرنامج الجديد للمسرح سنعمل على أن يمتد نشاط المسرح الى كل أرض الجزائر ، وسنعمل كذلك على خلق تعاون مثمر مع فرق الهواة التى سيسعى المسرح القومى الى مساعدتها بصورة أكثر فعالية وفائدة .

ثم سألت عن المجال الذى تعمل فيه هذه الفرق وعن اللغة التى تستخدمها ، فأجابنى :

— ان المسرح القومى يعمل اساسا فى المدن الكبيرة ، وفرق الهواة وأشباه المحترفين تعمل فى الوسط الريفى الذى نبعت منه أصلا ، واللغة السائدة فى المسرح الآن هى اللغة العربية العامية الجزائرية وسياسة نشر اللغة العربية التى تنتهجها الحكومة سوف تمتد الى المسرح بالطبع .

ورأيت ان آخذ رايه عن التبادل الثقافى بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الجزائرية فقال :

— ان هذا التبادل فى الواقع ضعيف ، وانا الاحظ أن الفنانين

المصريين الذين قدموا عملهم فى الجزائر لا يمثلون أكثر التيارات اصالة فى مصر ، فالاعتماد على شهرة الفنان يجب الا يكون مقياسا لجدارته ؛ وأنا أرجع هذه الظاهرة الى فقدان الصلة بين رجال الثقافة الأصلاء فى البلدين ، وان كنت اعتقد أن هناك محاولات تبذل الآن لوضع برنامج للتبادل على أساس سليم .

وتركت الرجل المسئول عن خلق مسرح قومى أصيل يستطيع أن يتنفس فى جو اشتراكى ، وأنا احس بحاجتنا الملحة الى تعميق الصلة والتبادل الثقافى بين بلدينا ، بصورة اكثر عمقا واصالة .



الجزء الثانى

مؤتمر جبهة التحرير

١ ــ نظرة عامة

ليس هدفى تقديم دراسة كاملة عن المؤتمر ، فهذا أمر يحتاج الى معرفة أدق بالوضع فى الجزائر وتطوراته .

ولذا سأكتفى هنا بتناول بعض جوانب المؤتمر .

غير انه من المفيد قبل تناول هذه الجوانب أن نقوم ولو بشكل سريع النتائج التى حققها المؤتمر الذى عقد فى مدينة الجزائر فى الفترة ما بين ١٦ و٢٢ من ابريل .

لقد حدد الرئيس بن بيلا فى الحديث الذى اوردناه فى صدر الكتاب أنه كان للمؤتمر هدفان رئيسيان :

الأول : تحديد معالم الاشتراكية فى المرحلة الحالية من تاريخ الجزائر ، أو بمعنى آخر تسليح الحزب بأيديولوجية اشتراكية واضحة وبرنامج محدود المعالم ، لاجراء التحول الاشتراكى فى البلاد .

والآخر : خلق هيكل حزبى متين قادر على تعبئة الجماهير .

وفيما يتعلق بالهدف الأول ، فان البرنامج والتقارير النظرية التى قدمت ، وكذلك التقرير الذى القاه بن بيلا فى المؤتمر ، لشرح

وابراز بعض نقاط البرنامج ، والقرارات النهائية التى صوت عليها المندوبون بالاجماع تقريبا - تدل جميعا على أن المؤتمر قد نجح بالفعل فى ان يحدد معالم الطريق الاشتراكى ونظريته فى الجزائر ، وأن يقدم أعمالا فكرية فى مستوى مرتفع للغاية .

ليس هذا فحسب .

فالمهم ايضا ان هذه التقارير ناقشها بأسلوب ديمقراطى ١٧٠٠ مندوب . ونشرت فى الصحف ، على نطاق واسع ، وقدمت لها دراسات مبسطة ، وعقدت اجتماعات فى بعض مناطق الجزائر لمناقشتها مع اعضاء جبهة التحرير وجماهير الشعب . وقد ترتب على ذلك حركة توعية سياسية ذات شأن ، شملت كوادر الجبهة وجزءا من جماهير الشعب ، وسمحت بتوضيح الأهداف الاشتراكية فى الجزائر .

١ ــ مؤتمر جبهة التحرير الجزائرية
ومشاكل البناء الاقتصادى

مأساة ما زالت تخيم على بلاد الجزائر الجميلة وشعبها البطل .

مأساة مائة وثلاثين عاما من الاستعمار وسبع سنوات من الحرب الضروس ضد جنود الاحتلال وهذه المأساة هى المشكلة الرئيسية التى تواجه شعب الجزائر وحكومة بن بيلا .

انها الحالة الاقتصادية فى البلاد .

والمعركة من أجل بناء الاقتصاد الوطنى هى القضية الأساسية التى تواجه الثورة الجزائرية فى السنين القادمة .

وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف الى حد كبير مستقبل الاشتراكية فى البلاد .

فالاشتراكية تعنى القضاء على الاستغلال .

وهى تعنى التخطيط الاقتصادى .

والاشتراكية تهدف الى زيادة الانتاج واستثمار ثروات البلاد الضخمة الى اقصى حد ممكن ، فلا يمكن توفير الرفاهية للايين الكادحين فى المدن والريف الا بهذه الوسيلة .

الا : « بالكفاية فى الانتاج » .

« والعدل فى التوزيع » .

وقد دلت أعمال مؤتمر جبهة التحرير على أن شعب الجزائر وقيادته الثورية يزدادان ادراكا لهذه الحقيقة .

تراث الماضى

يتجسد تراث الماضى الاستعمارى للجزائر فى التخلف الشديد الذى يعانى منه اقتصاد البلاد ، لقد شكل الاستعمار الفرنسى اقتصاد

الجزائر ليكون تابعا له وملحقا به ويتمثل هذا التخلف الاقتصادى فى سمات اربع :

أولا ــ الاعتماد على الزراعة كمورد أساسى للاقتصاد الوطنى.

ثانيا ــ ضعف التصنيع .

ثالثا ــ البطالة المتفشية فى المدن والريف .

رابعا ــ قلة الفنيين وتخلف الوسائل الفنية والعلمية .

فاذا اردنا أن نبحث وراء السبب فى هذا التخلف نجد انه يكمن فى الآثار الاستعمارية على اقتصاد البلاد وهذه الآثار هى المظهر الرئسى « للاستعمار الجديد » الذى فرضته اتفاقيات افيان المشهورة والتى تعمل الحكومة الجزائرية على ازالة كل آثارها .

كارثة الحـرب

ولكن هناك حقائق أخرى يجب أن تضاف حتى تتضح الصورة كاملة وحتى يمكن ادراك صعوبة المهام التى تواجه الحكومة الجزائرية وجبهة التحرير ، ويكفى أن نذكر بعض الأرقام المجردة من كل تعايق حتى يدرك الانسان المأساة التى عاشها شعب الجـزائر فى سـنوات المعركة ضد جنود الاحتلال الفرنسيين ، ان هذه الارقام تقول : انه قد سقط مليون شهيد فى أثناء المعركة .

وأن ثلثمائة ألف مقاتل اشتركوا فى أعمال المقاومة المسلحة .

وأن ثلاثة ملايين من السكان جمعوا فى « قرى الاعتقال » المحاطة بالاسلاك الشائكة .

وأن اربعمائة الف اعتقلوا وسجنوا .

وأن ثلثمائة الف هاجروا الى تونس ومراكش .

وأن سبعمائة الف هاجروا من الريف الى المـدن بين سـنتى ٥٤ ــ ٦٠ .

وثمنمائة ألف بين سنتى ٦٠ و ٦٣ .

وأن ثمانية آلاف قرية أبيدت عن آخرها .

وأن الثروة الحيوانية قضى عليها تماما .

فهل الأمر يحتاج الى تعليق ؟

هجرة المستوطنين

وعندما نالت الجزائر استقلالها ارادت الرأسمالية الفرنسية التى يقودها ديجول الآن ان تدفع بالجزائر الى شفا الهاوية ، فهاجر المستوطنون فجأة بالآلاف تاركين خلفهم المصانع والمزارع التى كانوا يملكونها فى حالة توقف ، وحاملين معهم رءوس أموال وصلت الى مائة وثلاثين مليار فرنك . هذا فى الوقت الذى كانت تحتاج فيه الجزائر الى ما يقرب من ١٦٠ مليارا كحد أدنى ليتمكن الاقتصاد الجزائرى من أن يقف على قدميه ، وأن تعالج ولو جزئيا تلك المشاكل المستعصية التى رسمنا لها صورة سريعة فى السطور السابقة .

أهداف محدودة

ازاء خطورة هذا الوضع الاقتصادى على مستقبل التطور الاشتراكى فى الجزائر كان من الطبيعى أن يولى مؤتمر الجبهة هذه المسألة قسطا كبيرا من اهتمامه ، ولذلك لم يكن من قبيل الصدف أن القرارات التى صوت عليها فى نهاية جلساته كانت مقسمة الى قرارين أساسيين :

الاول بعنوان « قرار خاص بالسياسة العامة »

والأخر تحت عنوان « قرار خاص بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية » .

والجزء الخاص بالاقتصاد يشمل ثمانية قرارات اساسية من بينها قرار عن ضرورة وضع خطة اقتصادية مفصلة بالارقام تتناول أيضا وسائل التنفيذ ، وقرار عن اهمية تدعيم قطاع الادارة الذاتية وضرورة تنفيذ توصيات مؤتمر الادارة الذاتية للقطاع الصناعى الذى عقد فى آخر شهر مارس ١٩٦٤ ، وتوسيع نطاقه حتى يشمل كل المؤسسات اللازمة لضمان حسن سير القطاع الاشتراكى ، وقرار عن الاصلاح الزراعى الذى يجب ان يشمل كل الاراضى الزراعية التى لم تخضع لقانون الاصلاح الزراعى الأول الذى سلمت بمقتضاه أراضى المستوطنين الفرنسيين وبعض كبار الملاك الجزائريين للعمال الزراعيين طبقا لنظام الادارة الذاتية . ثم اخيرا قرار خاص بتأميم التجارة الخارجية والبنوك ووسائل النقل .

وهكذا نرى ان المؤتمر قد حدد الخطوات الاساسية التى تضمن

اجراء التحول الاشتراكى الذى لابد منه لبناء اقتصاد مستقل فى خدمة جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

وقد تناول التقرير الذى قدمه بن بيلا وكذلك المناقشات التى دارت حول هذاالتقرير المسائل الجوهرية المتعلقة بهذه القرارات ورسم بشكل واضح السياسة التى يؤمن بها الحزب فى المجال الاقتصادى . فما الافكار الاساسية التى استرشد بها المؤتمر فى مناقشاته ؟ .

معالم المستقبل :

اجمع المندوبون فى المؤتمر على أن معركة الانتاج مسألة اساسية فى التحول الاشتراكى وأنه لا يمكن تحقيق الزيادة المنشودة ورفع مستوى معيشة الجماهير بسرعة الا اذا اعتمد الاقتصاد على خطة تنمية مدروسة، وهاجموا أولئك الذين يريدون تأجيل هذه الخطة حتى يكون لدى الحكومة الجزائرية العدد الكافى من الاخصائيين الذين يستطيعون جمع الاحصائيات اللازمة بحجة ان التخطيط مسألة علمية تعتمد فى المقام الاول على الاحصاء الدقيق .

قال بن بيلا معلقا على هذه الافكار :

« ان الذين يفكرون بهذه الطريقة يذكروننى بأولئك الذين كانوا يقولون فى ٣٠ من اكتوبر سنة ١٩٥٤ انه يجب حتى نستطيع خوض معركة التحرير المسلحة أن نحصل على الطائرات والدبابات وأن ندرب القوات القادرة على استخدام هذه الاسلحة الحديثة !

اننا لن نسمح لأنفسنا بأن نقع فى هذا الفخ ! سنضع خطة اقتصادية مستعينين بالمعلومات والامكانيات التى لدنيا حاليا ، اننا لا نحتاج الى دراسة بلادنا فقد درسناها بالفعل .

وستمتد هذه الخطة لمدة سنتين أو ثلاث وهى التى ستسمح لنا بأن نجمع الامكانيات اللازمة لوضع خطة شاملة للتنمية ، وستمتد هذه الخطة لمساعدة الشعب كله بمساعدة لجان الادارة الذاتية فى المصانع والمزارع وكل الفلاحين المنتفعين بقوانين الاصلاح الزراعى .

وعد المؤتمر لجان الادارة الذاتية الطريق الخاص نحو الاشتراكية فى الجزائر . هذا الطريق الذى يضمن انتقال وسائل الانتاج الاساسية الى أيدى الكادحين من العمال والفلاحين ، كما يضمن فى الوقت نفسه

الحيلولة دون تضخم جهاز الدولة البيروقراطى عن طريق اشراك العاملين مباشرة فى ادارة المؤسسات والمزارع وهى وسيلة ديمقراطية تستند فى الوقت نفسه الى عنصر التشجيع المادى ، فكلما زاد الانتاج زاد دخل العاملين فى المشروعات المختلفة .

ولذلك أجمع المندوبون على ضرورة توسيع هذا القطاع بسرعة كطريقة لايقاف النمو الرأسمالى ووضع مستقبل الاقتصاد بين يدى أصحاب المصلحة الحقيقيين ، النظام الاشتراكى .

وأخيرا فيما يتعلق بالاصلاح الزراعى اتضح من خلال المناقشات انه توجد ٨٥٠٠ ملكية تزيد مساحتها على ١٠٠ هكتار (٢٢٠ فدانا تقريبا) ، ١٥٠٠٠ تزيد مساحتها عن ٥٠ « هكتارا » (١١٠ فدادين) . ويغطى مجموع هذه الملكيات (٢٣٠٠٠) مقدار ٤ر٥ مليون هكتار على حين يوجد ٧ ملايين هكتار موزعة على ما يقرب من ٦٠٠٫٠٠٠ مالك صغير كما يوجد مليونا فلاح عاطل ، ولذلك فقد راى المؤتمر انه فى قانون الاصلاح الزراعى القادم تتطلب مصلحة الثورة الجزائرية ومصلحة جماهير الفلاحين توزيع كل مساحة تزيد على ٥٠ « هكتارا » على الفلاحين الفقراء المعدمين .

وهكذا حدد المؤتمر معالم المستقبل للاقتصاد الجزائرى ووضع الخطوات التى تضمن اجراء التحول الاشتراكى فى البلاد بشكل فعال .

ولكن هناك كلمة قالها بن بيلا هى التى توضح الفلسفة التى تؤمن بها القوى الثورية فى الجزائر وهى تعطى املا كبيرا فى أن الجزائر برغم كل الصعوبات وبرغم التراث الثقيل الذى تركه الاستعمار وبرغم المآسى التى مازال يعانى منها هذا الشعب المناضل الفقير — ستحرز انتصارات جديدة وعظيمة فى معركتها من اجل السعادة المادية والمعنوية للملايين الذين قاسوا أجيالا طويلة .

هذه الكلمة هى فى الواقع سر انتصارات كل الشعوب المتطلعة نحو مستقبل مشرق :

« ان اعظم الابطال لا يستطيع شيئا دون الشعب ! »

المؤتمر ومشكلة الطبقات الجديدة
فى الجزائر

ظاهرة اجتماعية جديدة كانت تطفو على السطح وبسرعة ، منذ حصول الجزائر على استقلالها ، انها فئة البورجوازية البيروقراطية .

تسمى بيروقراطية لانها تسيطر على اجهزة الادارة فى الدولة كما أن اسلوب ادارتها فى العمل يتسم بالتمسك بالشكليات والجمود وعرقلة مصالح الشعب .

وهى بورجوازية لأن افرادها ينحدرون من صفوف البورجوازية الصغيرة المتوسطة التى نشأت فى ظل الانظمة الاستعمارية ، وكانت تحتل مكانا هاما نسبيا فى المجتمع السابق ، وهى تحمل حتى الآن افكار النظام الرأسمالى ، الفردية .

هذه الفئة تميل بغريزتها الى معارضة الاتجاهات الاشتراكية فى الثورة الجزائرية بسبب المركز الممتاز الذى تحتله فى المجتمع ، وتمتعها بسلطة فعلية فى البلاد .

ومن هنا نشأت المشكلة ، مشكلة الطبقات الجديدة فى المجتمع الجزائرى .

وتعد هذه المشكلة من أخطر المشاكل التى بحثها مؤتمر جبهة التحرير الجزائرية ، فان هذه الفئات الجديدة ، يمكن أن تشكل العقبة الرئيسية فى التطور الاشتراكى والديمقراطى فى الجزائر .

لماذا ؟

حقا ، ان البورجوازية فى المدن والريف طبقة ضعيفة فى الجزائر ، الا أنها تستطيع أن تعوض هذا الضعف بالتسرب الى أجهزة الدولة وبث افكارها وقيمها داخلها .

أجهزة موروثة

كيف نشأت المشكلة ؟ .

اضطرت الثورة الجزائرية أن تعتمد فى ادارة شئون البلاد على جهاز دولة ورثته من عهد الاستعمار ، جهاز أقيم لحماية مصـــالح الرأسمالية الاجنبية .

وعندما تقدمت الثورة فى طريق الاشتراكية كان لابد أن يمتد نشاط الدولة الى مجالات أوسع ، وأن تعتمد على عدد متزايد من الكوادر والموظفين ، ومن هنا نشأت المشكلة ، الثورة لا تملك الكوادر ولا الفنيين فى صفوف الاشتراكيين .

اذن لم يكن أمامها سوى أن تضم الى جهاز الدولة أعدادا متزايدة من الكوادر الادارية والفنية من صفوف البرجوازية .

وأهم ما يميز هذه الفئات ميلها الى التمتع بمستوى معيشى مرتفع للغاية ، اذا ما قورن بحياة الجماهير العادية فى الجزائر ، فقد طال حرمان هذه البرجوازية من مغانم السلطة فى ظل الاستعمار الفرنسى ، ولهذا فهى تتطلع فى ظل الاستقلال الى تعويض ما فاتها فى الماضى ، ولو عن طريق الرشوة ، والفساد ، ومختلف أنواع التحايل والتلاعب .

ومن هنا يكمن خطر هذه الفئة على الثورة ، فانها يمكن أن تتحول الى عازل سميك بين القيادة الثورية وجماهير الشعب ، وحائل دون انطلاق الطبقات الكادحة فى طريق البناء الاشتراكى وعقبة فى ســبيل التطور الديمقراطى للبلاد .

ومن خلال هذه الفئة أيضا ، تمكن الاستعمار ، وفئات البرجوزاية المستغلة أن تمارس نفوذها لعرقلة السياسة الاشتراكية .

معركة لابد منها

وقد كانت هذه المشكلة ــ مشكلة الطبقة الجديدة ــ من اهم النقاط التى درسها وناقشها مندوبو مؤتمر جبهة التحرير الجزائرية .

وقد أجمع أعضاء هذا المؤتمر خلال هذه المناقشات على أنه اذا أرادت السلطة أن تدافع عن مصانع الطبقات العاملة فلا مفر من الاصطدام بمصالح كل الطبقات والفئات التى تريد أن يكون لها مركز « ممتاز » فى المجتمع . اما لأنها تملك وسائل الانتاج ، أو لأنها تسيطر على أجهزة الحكم

والاقتصاد ، فجماهير العمال والفلاحين فى الجزائر الذين خاضوا معارك قاسية خلال حرب التحرير ، وفقدوا مليون شهيد ، والذين مازالوا يعانون من الخراب الذى خلفته لهم الحرب بعد مائة وثلاثين سنة من الاستغلال الاستعمارى ـ لن يسمحوا بأن تقتطف أية فئة ثمار هذه المعركة لنفسها .

بداية المعركة

وقد احست حكومة بن بيلا ، بهذا الخطر الجاثم على الثورة منذ وقت مبكر ، فبادرت باصدار قرارها يوم ٢٣ من أكتوبر عام ١٩٦٢ ، المسمى قرار « الممتلكات الشاغرة » وهو يحرم تأجير أو بيع أو شراء الممتلكات التى تركها المستوطنون الفرنسيون عند رحيلهم الى فرنسا ، وهذا بهدف الحيلولة دون انتقال المصانع ، والمزارع والمبانى ، والشقق ، أو المفروشات ، والمجال التجارية ، الى ايدى البرجوازية من الجزائريين خارج جهاز السلطة ، حتى لاتنمو هذه الفئات ويتدعم مركزها .

وكان هناك قرار خطير آخر : ففى مارس ١٩٦٣ أصدر بن بيلا قراره الشهير الخاص بنظام التسيير الذاتى للمصانع والمزارع التى تركها المستوطنون الفرنسيون ، على أمل أن يؤدى توقفها عن العمل الى انهيار الاقتصاد الجزائرى .

كان أمام بن بيلا أحد طريقان لتأميم هذه المؤسسات :

أما أن ينقل ملكيتها الى أجهزة الدولة لتديرها .

أو ينقل ملكيتها الى العمال والفلاحين الذين يعملون فيها فعلا للقيام بادارتها والاشراف عليها .

وقد اختار بن بيلا الطريق الأخير ، نظرا لظروف الجزائر الخاصة ، وكان هدفه تدعيم المركز القيادى للعمال والفلاحين فى المجتمع الجزائرى ، وفى الوقت نفسه الحيلولة دون تدعيم قبضة الطبقة الجديدة (البورجوازية البيروقراطية) على اقتصاد البلاد .

ان هذه القرارات لم تحل دون استئثار بعض الفئات الممتازة بادارة شئون الدولة فقط ، ولكنها منعت أيضا احتكار الفئات البورجوازية ، للمعرفة الادارية والخبرة فى العمل ، كما سمحت بفرض رقابة شعبية حقيقية ، ومنهج الجماهير فرصة لتتعلم كيف تدير شئون الدولة .

المعركة داخل المؤتمر

وقد ظلت هذه المشكلة تقلق بال أعضاء جبهة التحرير الذى انعقد اخيرا .

وفى التقرير الذى قدمه بن بيلا للمندوبين قال :

« يجب أن نكافح البيروقراطية والانتهازية والوصولية ، لذلك لابد ان يخضع مناضلو الحزب لشروط محدودة حتى يكونوا جديرين بثقة الشعب ، ان ثورة تخدم حقا مصالح الشعب لا يمكن أن يقودها سوى رجال يندمجون فى صفوف الجماهير ، ويعيشون حياتها ، ولذلك فان احدى مهامها الرئيسية تحديد حد اقصى لمهايا المناضلين والكوادر فى الحزب والدولة .

« واستجابة لرغبات المناضلين فى جبهة التحرير يجب أن يصدر قرار يحتم على كل عضو فى الحزب تقديم كشف حساب كامل ، عن كل الممتلكات والاموال التى حصل عليها منذ نوفمبر عام ١٩٥٤ ، ويجب ان يمتد هذا الاجراء ليشمل جميع المسئولين فى الدولة أيا كان مستواهم .

« كما يجب بذل جهود ايديولوجية مستمرة لتسليح كوادر الحزب والدولة ، بمفهومات اشتراكية واضحة ، تسمح بكشف التيارات المعارضة للاشتراكية ومقاومتها ، فالبيروقراطية وضعف المستوى الفكرى هما الخطران الرئيسيان على الحزب والدولة . »

وقد جاءت قرارات المؤتمر النهائية مؤكدة لهذا الاتجاه ، اتجاه محاربة نشوء طبقة جديدة ، اذ انها تضمنت جميع الاقتراحات التى اشار اليها بن بيلا فى تقريره .

كما اقر المؤتمر اقتراحا هاما بتكوين لجنة خاصة تابعة للمكتب السياسى ، مهمتها تلقى التقارير عن سير أجهزة الادارة ، وتصرفات القائمين عليها ، حتى يمكن كشف كلّ العناصر التى تقف ضد مصالح الشعب وتحاول تحقيق مصالح خاصة بها .

هذه بعض مظاهر النضال ضد نشوء الطبقات الجديدة فى الجزائر، وكذلك الاجراءات والافكار التى نوقشت فى المؤتمر لعلاجها ، ولا شك أن مؤتمر جبهة التحرير قد خرج بنتائج مثمرة فيما يتعلق بهذه المسألة ، وسنرى فى المرحلة القادمة مدى فعالية هذه القرارات والافكار فى التطبيق .

الاشتراكية والاسلام

فى مؤتمر جبهة التحرير

عندما انطلقت الثورة الفرنسية ارتفعت اصوات النبلاء والقساوسة الكاثوليك لتهاجمها تارة باسم الدين ضد الالحاد ، وتارة باسم حق الملك الالهى ضد فوضى الغوغاء ، وتارة باسم حق الملكية المقدسة ورباط الاسرة ضد كل من يريد هدمها فى المجتمع !

وعندما ظهرت الافكار الاشتراكية الاولى فى أوربا الغربية ارتفعت الصيحات نفسها من أصحاب الاراضى والمصانع وأبواقهم معلنة أن الافكار الجديدة تعنى هدم الملكية والاسرة والاخلاق وكل ما هو مقدس فى المجتمع !

وفى أيامنا هذه تدور معركة من النوع نفسه وان اختلف شكلها : ففى كثير من البلاد العربية ترتفع صيحات من بعض الاوساط محاولة مرة أخرى أن تستخدم الدين والقيم الروحية ، لا كقوة تدفع الانسان العربى الى آفاق التقدم الرحبة وانما كسلاح فى خدمة القوى الرجعية المتعلقة بامتيازاتها القديمة .

ولذلك عندما أراد ملك اليمن أن يهاجم الثورة الاشتراكية فى بلاده هاجمها باسم الدين الاسلامى محاولا بذلك أن يستغل تعلق الجماهير بالاسلام وتراثه !

وعلى نطاق الشرق العربى تدور المعركة نفسها بين انصار الرجعية والتخلف وبين المناضلين فى سبيل مستقبل افضل ، بين أولئك الذين يريدون استغلال الدين والتراث الاسلامى والعربى للدفاع عن بقية المعاقل الرجعية فى البلاد العربية ، وبين أولئك الذين يؤمنون ان القيم الروحية انما وجدت أولا واخيرا لخدمة الانسان البسيط ولنصرة الحق والعدل على كل أشكال الظلم والتسلط والاستغلال ، بين الذين يريدون نشر الخرافة والجهالة ، وبين الذين يرون أن الاشتراكية القائمة على التحليل العلمى لا يمكن أن تتنافى مع التراث الاسلامى ، والعربى التقدمى،

لأن التحليل العلمى ينبنى أولا واخيرا على واقع كل بلد وتاريخه وعلى القيم الاصلية التى آمن بها الشعب فى نضاله ضد الاستعمار والرجعية .

وفى الجزائر ايضا تدور معركة من النوع نفسه .

وكان لابد أن تجد هذه المعركة صداها فى مؤتمر جبهة التحرير الجزائرية ، وفى كل ما قدمت اليه من اعمال .

الثورة والتاريخ

ليست الثورة بأية حال عملية تؤدى الى انقطاع صلات وروابط النظام الاجتماعى الجديد فى بلد من البلدان بماضيه وتاريخه .

فنضال الشعوب يتأثر على الدوام بظروف مختلفة موروثة من الماضى ، وهذه الظروف تتحكم فى الطريق الذى تسلكه الجماهير خلال ثوراتها ، ولذلك فان دراسة الشعب وتقاليده والقيم التى تسايره فى حياته واجب كل مناضل فى سبيل الاشتراكية .

هذه هى الفكرة الاساسية التى يمكن قراءتها فى السطور الاولى للبرنامج الذى قدم أمام مؤتمر جبهة التحرير ، والتى تركت اثرا عميقا على كل المناقشات والقرارات ، بل والاسس النظرية التى انتهى اليها المؤتمر .

لقد توحدت اراضى الجزائر منذ القرن السادس عشر فأصبحت هناك عناصر ثلاثة تساعد على بلورة القومية فى هذه المنطقة من أرض العرب هى : اللغة والتراث والفكر الاسلامى ، ووحدة الارض ، وكانت المعارك الاولى التى خاضتها هذه القومية الناشئة فى الواقع معارك بين العرب المسلمين وبين الغزوات الاسبانية الاجنبية ، تلك المعارك التى قادها زعماء مثل عروج وخير الدين .

ولم يفقد نضال الشعب الجزائرى هذا الطابع حتى خلال الاحتلال التركى ، فقد اتبعت الطبقة الحاكمة التركية بالذات فى المرحلة الاخيرة من حكمها سياسة هادئة ازاء الاستعمار الفرنسى ، وكانت تفرض ضرائب باهظة لصالح هذه القوى الاجنبية تلك الضرائب التى رأى فيها الشعب خروجا على القرآن الكريم .

وقد تميزت السياسة الاستعمارية الفرنسية ابان بداية احتلال الجزائر فى سنة ١٨٣٠ بغزواتها فى الهجوم على كل تراث اسلامى وعربى

فى البلاد ، محاولة بذلك محو « الشخصية الجزائرية » ، وحرمان الشعب من الاحساس بماضيه المجيد وتاريخه الذى يكون دائما قوة معنوية جبارة فى معارك التحرر الوطنى .

وتقترن مراحل الكفاح الاولى ضد الاحتلال الفرنسى باسم أحد القادة العرب المبرزين الأمير عبد القادر ، كما حاول حفيده الأمير خالد مواصلة المعركة بوسائل اخرى تستند الى العمل السياسى .

وقد واصل قادة الاسلام فى الجزائر هذا الدور المجيد الذى قام به أسلافهم عندما تكونت رابطة العلماء ، وخاضت هذه الرابطة نضالا عنيدا لتخليص الشعب من كل الخرافات الداخلية التى كانت تروج باسم الدين الاسلامى وبذلت جهودا متواصلة لاحياء النهضة الثقافية ونشر التعليم باللغة العربية عن طريق المدارس ، كما ساهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس مساهمة فعالة فى تدعيم الفكرة القومية ، وفى كل هذه المعارك كان التراث العربى والاسلامى حافزا قويا فى نضال الشعب الجزائرى ضد الغزاة الاجانب ومن تعاونوا معهم داخل البلاد ، بل اصبح الدفاع من الكيان العربى والاسلامى فى الواقع دفاعا عن كيان الشعب ومستقبله ضد قوى الظلم والاستعباد .

وهكذا فى تاريخ الجزائر اقترنت افكار العروبة والاسلام بفضل الشعب فى سبيل الحرية والتقدم ، اقترنت بالدفاع عن مصالح الجماهير العريضة المتطلعة الى حياة افضل .

حقيقة سجلها البرنامج :

لم يكن من قبيل الصدف اذن أن يبرز البرنامج الذى قدم للمؤتمر هذه الحقائق التاريخية بشكل واضح ، وان يعدها احد العناصر الاساسية فى تكوين النظريات المتقدمة التى أصبحت تنير الطريق الى الاشتراكية أمام الشعب الجزائرى المناضل .

يقول البرنامج فى الباب الثالث تحت عنوان : « قسمات الجزائر »

« ان الجزائر بلد عربى اسلامى ، وان تقسيم العالم العربى الى وحدات جغرافية واقتصادية متميزة لا يمكن أن يؤدى الى التغاضى عن عناصر الوحدة العربية ، التى شكلت التاريخ المشترك والثقافة الاسلامية واللغة الواحدة .

« لقد ناضلت الجماهير الجزائرية ، تلك الجماهير العميقة فى ايمانها ـ ناضلت بقوة حتى تخلص الاسلام من كل الاتجاهات الدخيلة والخرافات التى كانت تخنقه او تغير من جوهره . وكانت تصارع دائما ضد الدجالين الذين أرادوا أن يحولوا الاسلام الى مذهب للاستسلام وربطت بين الاسلام وبين تصميمها على انهاء استغلال الانسان لأخيه الانسان .

ان الجوهر العربى الاسلامى للقومية الجزائرية كان يشكل سدا منيعا حال دون نجاح الاستعمار فى القضاء على هذه القومية .

ويقع على الثورة الجزائرية عبء ان تعيد للاسلام جوهره الحقيقى ، جوهر التقدم »

هكذا نرى ان برنامج ١٦ من ابريل سنة ١٩٦٤ يربط بين ايمان الجماهير الكادحة بالاسلام وبين رغبتها فى القضاء على استغلال الانسان لأخيه الانسان ! كما يعد احد الواجبات الأساسية للثورة الجزائرية ابراز الجوهر التقدمى للاسلام الذى يعده جوهره الحقيقى ، والتخلص من كل الاتجاهات الرجعية التى تريد أن تنشر الخرافات والتعصب بهدف الحفاظ على الانظمة الاستغلالية .

ان الاسلام الذى يريده المؤتمر هو كما قال بن بيلا « اسلام جماهير العمال والفلاحين والكادحين عموما ، لا اسلام الطبقات المستغلة ! »

تراث الماضى وآفاق المستقبل :

ان الشعب الجزائرى شانه شأن الشعوب العربية كلها كان ومازال الوريث للحضارة العربية الاسلامية ، تلك الحضارة التى اغنت تراث الانسانية كلها بفكرها ، والتى كانت دافعا لنضال الشعوب فى مرحلة من مراحل تاريخها وفى الجزائر لم يكن الاسلام دين التسامح فحسب ولكن كان أيضا حافزا على التحرر الاجتماعى ، فقد أعاد المسلمون الارض للأرقاء الذين جردوا منها خلال الاحتلال الرومانى ، وفتحوا الطريق واسعا أمام العلوم والفكر المتقدم .

وفى بعض أنحاء العالم العربى صحفيون ورجال سياسة وعلماء مزيفون يعملون لحساب الاستعمار ، يحاولون بالاستناد الى افكار الرجعيين الذين ارادوا ومازالوا يريدون حتى الآن ، استخدام الاسلام لعرقلة زحف الشعوب المتواصل الى الامام ، أرادوا أن يصوروا الاسلام

على أنه عقبة فى سبيل التقدم ، ولكن الثورة الجزائرية ، شأنها شأن ثورة ٢٣ يوليو ، قد اثبتت منذ سنة ونصف السنة أن الاسلام يجب ان يكون دعامة للمبادىء الانســانية ، وللنضـــال من أجل العــدالة الاجتماعية ، وهذا برغم كل محاولات العنــاصر المختلفة الحريصة على امتيازاتها الموروثة ، ان الاسلام فى نظر الجماهير الجزائرية يعنى تكافؤ الفرص والعدالة والاشتراكية ، لذلك يقول بن بيلا فى تقريره امام المؤتمر :

«سنسير دائما الى الامام ، وسنبنى الاشتراكية مراعين تقاليدنا العربية الاسلامية . ويجب أن يعلم اولئك الذين يريدون أن يدنسوا الاسلام باستخدام الدين فى محاولاتهم لايقاف التقدم أننا لن نمكنهم من هذا طويلا ، لقد استطاعوا ذلك حتى الآن بسبب تسامحنا ، وبسبب البلبلة التى نجحوا الى حد ما فى نشرها حول هذه المسألة ولكن كل شيء يتضح بسرعة والحقيقة تنفذ الى كل العقول ! »

بعض وثائق مؤتمر جبهة التحرير

١ ـ النص الكامل للخطاب الذى ألقاه الرئيس بن بيلا يوم ١٦ من ابريل عام ١٩٦٤ فى مؤتمر حزب جبهة التحرير

ليكن هذا المؤتمر « أول نوفمبر جديد » « أول نوفمبر » الاشتراكية .

اخوانى واخواتى الأعزاء :

هكذا ينعقد المؤتمر الذى طالما انتظرناه ، فقد تفجر الحماس والأمل فى صفوف المناضلين وبين جماهير الشعب منذ ان اعلن عن انعقاده

اذا كان المناضلون قد احسوا بضرورة عقد هذا المؤتمر فانهم أحسوا ايضا ان اختيار هذه اللحظة بالذات يعنى امكانية بل حتمية التغلب على تناقضات الماضى .

القد عشنا حتى يومنا هذا معتمدين أساسا على الانطلاقة الثورية لجماهير شعبنا ، على حركتهم التلقائية ، وكانت الاحتياجات اليومية والظروف الطارئة هى التى تتحكم فى البناء الذى أقمناه ، ولم نسر فى عملنا على منهج مخطط ، والمؤتمر الحالى يعد من هذه الزاوية نقطة بداية .

لقد ازفت ساعة اللقاء التى طالما تمنيناها ، ساعة مواجهة الاراء بعضها لبعض ويشكل هذا المؤتمر أول فرصة للنقاش الواسع بين هذا العدد الكبير من المسئولين والمناضلين ، بل الواقع أنه قد حدث ما هو احسن من ذلك ، فعن طريق الاجتماعات العامة التى نظمت فى مختلف انحاء بلادنا ، شارك مجموع الشعب فى هذا العمل ، وهذا حدث فريد من نوعه فى تاريخ الحياة السياسية الجزائرية ، ونادر فى تاريخ الحركة الثورية العالمية .

وفى الماضى تحكمت الظروف الخاصة للمعركة التى كنا نخوضها ، فى المناقشات التى دارت آن ذاك ، ولم يشترك فى هذه المناقشات سوى

مجموعة محدودة من الكوادر ، بسبب الحرب وظروف العمل السرى ، وهذا هو ما حدث فى مؤتمر « السومام » الذى عقد فى عام ١٩٥٦ ، وكذلك فى المؤتمر الوطنى للثورة المنعقد فى طرابلس خلال صيف ١٩٦٢ ، وقد قصدت ان اذكر بالذات مؤتمر سومام والمؤتمر الوطنى للثورة الجزائرية فى طرابلس ، لأنهما المناسبتان اللتان بذلت فيهما اكبر الجهود لوضع قانون الثورة وتحديد الاطار الذى ستتطور فيه .

فلنحكم على اساس الوقائع

ان عرض مختصر لخطواتنا الرئيسية يبين أن سياستنا كانت خاضعة لمبادىء موجهة عامة ، كما كانت تفيد من تجارب البلدان الاخرى .

فمثلا هناك ارتباط قوى وعميق بين قرار ٢٣ من اكتوبر ١٩٦٢ ، الذى كان يحرم شراء او بيع او تأجير الملكيات الشاغرة ، وقرار ١٨ من مارس ١٩٦٣ الذى اعاد الاراضى التى تركها الكولون الى ملكية الشعب .

فلندرس أول الامر هاتين الخطوتين ، اللتين تبدوان فى الظاهر كأن كلا منهما منفصلة عن الاخرى .

فقد منع الأجراء الاول ، انتقال الملكيات التى تركها الفرنسيون الى أيدى كبار الملاك العقاريين الجزائريين والبورجوازية الوطنية واغنياء الحرب ، انه حال دون أن تزداد هذه الفئات الممتازة ثراء ، وأن توسع قاعدتها الاقتصادية ، ومن ثم أن تتمكن من زيادة نفوذها السياسى .

وهكذا سمحت هذه الخطوة ، بقلب توازن القوى لصالح الفئات الكادحة ، على عكس الظاهرة التى يمكن تسجيلها فى بلاد اخرى ، حيث ادى الاستقلال الوطنى الى زيادة ثراء الاغنياء ، وسمح لهم بافساد رجال السياسة والموظفين ، وبالاستحواذ على السلطة !

أما الاجراء الآخر ، فقد هدم أحد أركان الامبريالية والاستعمار الجديد ، وفتح الطريق أمام تأكيد مبادرة العاملين الذين احتلوا المزارع والمصانع التى كانت مملوكة لأسيادهم السابقين ، وضمنوا بذلك استمرار العمل والانتاج .

هكذا سجل التسيير الذاتى نفسه كجزء من الواقع ، وقد أضفت قرارات ٢٢ و ٢٣ من مارس الصبغة الشرعية والقانونية على التسيير

الذاتى ، وفتح الطريق امام ظهور قطاع اشتراكى فى اقتصادنا ، الذى كان حتى ذلك الوقت مؤسسا بشكل كامل على الملكية الفردية لوسائل الانتاج .

وقد كانت رغبتنا الدائمة فى خلق الظروف المواتية للبناء الاشتراكى دون أن نسبب انهيارا فى اقتصادنا يؤدى الى القلاقل الاجتماعية ، كانت هذه الرغبة هى التى تحكمت فى كل سياستنا .

وهكذا نرى انه فى المجال الزراعى كانت حملات الحصاد ، وحملات العمل فى الارض التى ابرزت قيمة مساعدة الدولة الفنية والمالية لصغار الفلاحين ، وكذلك حملات التشجير ـ كانت كل هذه ظاهرة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ بلادنا !

اما تأميم الملكيات الكبيرة ، ثم الاستيلاء على ما تبقى من أراضى الكولون فى أكتوبر عام ١٩٦٣ ، فانها كلها مبادرات ، تكمل بعضها بعضا . وتتجه جميعها الى اعادة بناء الزراعة الجزائرية على اسس جديدة ، وتحويل فلاحينا الى منتجين متحررين من قيود الطبيعة ومن استغلال الآخرين لهم .

اما مؤتمرنا هذا فهو مؤتمر تأسيسى ، هدفه الاساسى تقويم الوضع الذى نمر به ، وليس من المنطق ان نتوقع منه حل جميع مشاكل بلادنا ، بل الجهد الذى سيتلو هذا المؤتمر هو الذى سيحدد مصير كل شىء ، والمطلوب اليوم هو دفع عجلة الثورة الى الامام مرة أخرى ، وتحديد معالم الزحف المطرد المنظم الواعى نحو الاشتراكية .

لغة مشتركة

لقد حالت التجزئة والعزلة التى اصابت قطاعات الثورة المختلفة فى الماضى ، وكذا عدم وجود اطار عضوى متناسق يسمح باشراك المناضلين فى توجيه الشئون السياسية ـ حالت هذه الظروف دون أن يعبر هذا المؤتمر فى تكوينه عن آمال المناضلين فى تحقيق الديمقراطية الكاملة والسليمة . ومع ذلك تشكل الاجتماعات الحالية خطوة تمهيدية لايجاد الحياة الديمقراطية فى داخل الحزب وازدهارها ، ذلك الحزب الذى يحمل لواء المثل الاشتراكية .

فمنذ عام فقط ، لم يكن من الممكن عقد هذا المؤتمر ، كان لابد من تصفية المتناقضات المتراكمة ، واتخاذ اجراءات ثورية تسمح لمناضلين اصلاء من ان يلتقوا برغم الخلافات المؤقتة ، ان الجو المشحون بالمشاكل

المختلفة لا يسمح بأن يلتقى فيه الناس حول البناء وكانت الموافقة على اجراء مواجهة بين المناضلين فى جو من البلبلة تعنى الموافقة على التضحية بمشاكل الشعب ، وتعنى أيضا خطر مضاعفة الاتجاهات المتعارضة المنبثقة من مصالح المجموعات القومية أو عملاء الاجنبى ، وكذلك من الاطماع الشخصية ، تحت ستار الشعارات الجذابة ، ولكن المسألة تختلف اليوم ، فقد التقى المناضلون الحقيقيون مرة أخرى خلال العمل الثورى ، ويدل على ذلك تكوين اللجنة التحضيرية للمؤتمر ونتائج أعمالها ، فقد تمكن مناضلون عاشوا ظروفا مختلفة ومروا بتجارب متباينة بعد مرور اربعة أشهر ان يخطو خطوات أولى نحو ايجاد لغة مشتركة .

وهذه حقيقة هامة . فخلال المعركة ضد أعداء الاشتراكية ، ضد أولئك الذين يريدون ان يحتلوا مكان الطبقات المالكة ، وانا اقصد الاشخاص الذين يتاجرون بالافكار — تمكن المناضلون مرة اخرى من الاقتراب بعضهم من بعض ، فى المعركة ضد روح الانتظار ، وضد رغبات ومناورات اعداء الثورة .

لقد تأكد الايمان بالاشتراكية ، ذلك الايمان الذى مازال هو العنصر المشترك بين المناضلين ، كما تأكدت مصالح جماهير بلادنا بقوة ، ويجب علينا أن نقدم تحية حارة لأولئك الذين عرفوا كيف يرتفعون الى مستوى المصلحة الوطنية ، ورفضوا اختيار الطريق السهل ، طريق الانانية الفردية ، ذلك أنهم تمسكوا بأن يظلوا قبل كل شيء، مناضلين ثوريين فى خدمة الشعب .

لقد تمكنوا من تحديدبرنامج ،يحق لنا أن نكون فخورين به ، وينظر اليه منذ الآن فى افريقية وفى العالم كله ، كمساهمة ايجابية فى تطوير الفكر الاشتراكى .

وحتى يكون مؤتمرنا تعبيرا صادقا عن الروح البناءة التى تحرك جماهير شعبنا لابد أن تسيطر عليه روح الهدوء والموضوعية ، ولا يمكن أن ننبش كل ارشيفات الثورة ، ان الذاتية والانفعالات العاطفية ليستا من الأشياء التى يركن اليها وخاصة عندما تتعلق المسائل بحاضر الشعب كله ومستقبله . ومن واجبنا ان ندرك أن النقد شأنه شأن العمل الخلاق يحتاج الى نظرة بعيدة . ومرة اخرى اكرر ان المسألة الآن تتطلب منا تقويم الوضع وخلق الظروف التى تسمح بالتغلب على خلافات

الماضى عن طريق تطوير برنامج طرابلس ، واقامة بنائنا الديمقراطى ، وانتخاب المسئولين فى كل المستويات .

تلك التجربة الموجهة

ينعقد المؤتمر فى ظروف سياسية خاصة ، لأنه جاء دليلا على نجاح اتجاهنا السياسى وسلامته ، ذلك النجاح الذى لا تستطيع اية شائبة أن تخفيه ، وحتى ندرك هذه الحقيقة يجب ان نسترجع الطريق الذى قطعناه منذ اتفاقيات ايفيان : اننا نذكر ان هذه الاتفاقيات كانت قد وضعت الصيغة القانونية لعلاقات التبعية الدائمة بيننا وبين فرنسا ، واخضعت أى تحولات اساسية فى البناء الاجتماعى لبلادنا ، وخاصة فى المجال الزراعى لمشيئة مستعمر الامس . وبفضل سياسة الحكومة واصرارها على السير فى طريق الاهداف العامة التى رسمها برنامج طرابلس تمكنا من أضعاف الروابط القائمة بين بلدنا وبين الامبريالية ، واخذ الجهاز الادارى فى بلادنا يسير من جديد بعد أن توقف ، ولم يتم كل هذا دون اصطدامات وأخطاء وانحرافات ، وسأتحدث عن هذه المسائل بعد حين ، عندما أتناول الظروف التى تبنى فيها مجتمعنا الاشتراكى ودولتنا وحزبنا ، ولكننى أريد مع ذلك ، أن أبرز روح الاستمرار والسير نحو الهدف باصرار ، تلك الروح التى كانت تحرك السلطة الثورية ، منذ ان أخذت مقاليد الأمور فى البلاد بين ايديها .

وقد آن الأوان لأن نسكت تخريفات أولئك الذين يعدون كل خطوة للثورة ، وكأنها مجرد خطوات مرتجلة ، فلا يوجد أساس لهذا النقد الذى تحركه أجهزة الصحافة المعادية لشعبنا ولتجربتنا ، والتى تديرها فى الجزائر عناصر الثورة المضادة ، أو أولئك الذين يريدون نشر الفوضى والبلبلة .

ان التجربة التى كانت تتسم بها بعض مبادراتنا لم تكن تعنى فى يوم ما ، عدم وجود مبادىء أو منهج للتصرف مبنى على أسس ثورية متينة . والخطوات التى اتخذناها كانت تنبع بشكل عام من الظروف الحقيقية فى بلادنا .

وهذه التجربة الموجهة لم يجر معها التخلى عن الاشتراكية ، بل على العكس اتجهت نحوها ، وفى الوقت نفسه جعلت المراحل أقل ايلاما وسريعة فى الوقت نفسه .

وكانت التأميمات ذات اهمية ايضـــا فى القطاعات الاخرى من اقتصادنا ، ولنذكر مثـلا شركات النقل والدخان والكبريت والفولاذ والزجاج فى وهران ، والفلين والحلفا ، ثم فى الايام الاخيرة المطـاحن ومصانع المكرونة .

وقد أدرك الشعب الجزائرى وعلى الاخص الجماهـير الـكادحة ، على الفور من هذه الاتجاهات أن هناك رياحا جديدة قد هبت ، وأن هذا المنهج سيؤدى الى حل مشاكلهم بشكل مطرد .

وقد تجاهل الفنيون الفرنسيون الذين بقوا فى الجزائر ، وكذلك الفنيون الذين استشرناهم ، تجاهلوا العنصر البشرى ، أو قللوا من قيمته ، وكانت « تنبؤاتهم » التى ادعوا انهـا علمية ، تتسم بالتشاؤم . كانوا يؤكدون لنا انه من المستحيل حرث مليون هكتار ، أو الحفاظ على الكروم ، أو ضمان استمرار انتاج النبيذ ، أو المحافظة على مستوى انتاج كاف للموالح ، بل أكدوا انه من المستحيل التفادى من المجاعة ! لقد ذهبوا فى أقوالهم الى حد نصحنا بالحفاظ على مكانة المستوطنين الفرنســيين والابقاء على عائـلات بورجو وكالون وجيرمان عن طريق مساهمتهم مع الدولة فى شركات مختلطة ، مثل تلك القائمة فى القطاع الصناعى ، وذلك حتى نتمكن على حد قولهم من ايقاف الانهيار الحتمى فى اقتصادنا الزراعى ! .

حتى نكون احرارا

وعلى عكس هذه «التنبؤات» المتشائمة فقد حرثنا ثلاثة ملايين هكتار بدلا من مليون ، وزاد انتاجنا الزراعى بنسبة ٣٠ أو ٤٠٪ بدلا من أن ينخفض كما «تنبأ» الفنيون ! ويرجع هذا ولا شك الى الامطار الفزيرة ،ولكنه يرجع أيضا الى اندفاع ووعى الجماهير العاملة وصغار الفلاحين ، وفى نفس الوقت لم يؤد رحيـل المستوطنين الى القضـــاء على الكروم ولم يحل دون انتاج النبيذ بشكل مرضى .

ان السنة الاولى لاستقلالنا لم تكن سنة بؤس ، بل كانت سنة رخاء ، وهذه النتيجة العظيمة ، سببها المجهود الذى بذله الجميع ، وكذلك ، وهذا امر يجب أن نؤكده ، المساعدات التى قدمها المتطوعون من المـدينة الى العمال الزراعيين ، بروح الانكار للذات ، فقـد قام الميكانيكيون بتصليح التراكتورات والآلات ، وأعاد البنــاءون وعمـــال الكهربا المنشئات الى حالتها الطبيعية ، وساعد المحاسبون فى مسك

الدفاتر الخ .. لقد كان التضامن بين أفراد الشعب ، على أرضنا هذه التى سقاها فى الماضى القريب دم الشهداء ، أمرا مسترعيا للنظر . انه يدل على تأييد الجماهير الشعبية لسياسة جبهة التحرير ، ومشاركتهم النشيطة فى بناء الاشتراكية فى بلادنا .

ومما يدل على ذلك — النجاح العظيم لحملة تمويل صندوق التضامن الوطنى ، تلك الحملة التى سمحت بمساعدة ضحايا كوارث الجنوب ، وبتنظيم نشاط اجتماعى واسع النطاق لصالح المعدمين فى المناطق المتخلفة اقتصاديا ولماسحى الاحذية والشحاذين ، وكل الذين ورثوا اثقال الماضى ، فحكم عليهم بأن يكونوا فى مرتبة أقل من الانسان. اننا نهدف الى الغاء كل النقط السوداء التى تلطخ جدراننا . ولن نكون أحرارا بمعنى الكلمة طالما ان فى بلادنا ، رجالا مازالوا يركعون !

ولهذا السبب كان المجهود الذى بذلناه فى المجال الاجتماعى مجهودا كبيرا ، اننا احدى البلدان القليلة التى تكرس ١٠٪ من ميزانيتها للصحة العامة . والنشاط الذى بذلناه لصالح الطفولة المشردة سمح لنا ، بأن نتوصل الى نتائج لم يصل اليها سوى عدد قليل من البلدان ، وذلك بعد سنين من الجهود . لقد وجد أطفال شهدائنا ، وكذلك ماسحو الاحذية الصغار ، الذين كانوا يعدون قبل الاستقلال جزءا من مشاهد الحياة الجزائرية التى كان يسعد بها السياح ، وجدوا اليوم ، فى تلك المراكز المريحة التى جمعوا فيها ، وسائل معيشية وامكانية التعليم والتدريب ، وهكذا فتحت أمامهم كل الفرص ليكونوا افضل بناة المجتمع الجديد .

ضرورة الوحدة الافريقية

ان الاشياء التى نريدها لأنفسنا ، نريدها ايضا للآخرين ، وقد اثبتنا هذه الحقيقة بأعمالنا ، ان مساندتنا التى لا تلين لكوبا مهما كان الثمن ، ومساعداتنا المالية والمادية لأنجولا وموزنبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية وشعب « جنوب افريقية » وكذلك تأييدنا الدائم لكل حركات التحرير — ان كل هذه المظاهر تعبر عن اخلاصنا لمبدأ مقدس ، هو حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وعدم استعدادنا للمساومة مع الامبريالية والاستعمار !

ان تحرير البلاد التى مازالت تابعة فى افريقية ، شرط ضرورى للوصول الى حرية ووحدة وتقدم القارة الافريقية ، وهذا هو ما

ساعدنا على ابرازه فى أديس أبابا . فقد سجلت ضرورة الوحدة الافريقية فى ميثاق منظمة الوحدة الافريقية كيف نكون مخلصين لهذا الميثاق ، حتى عندما قامت المعركة بيننا وبين المغرب .

ذلك أن وقوفنا الى جانب الوحدة الافريقية مسألة مبدئية ، اننا مقتنعون دائما ، أن استقلالنا وتطورنا مرتبطان ارتباطا لا ينفصم ، باستقلال وتطور القارة الافريقية . كما ان كل البلدان الافريقية لابد أن تكون ذات مصلحة مباشرة فى كل نجاح تحققه ثورتنا ، وهذه المصلحة المشتركة منبع نتبادله فنزداد منه ثراء ، ويساعد على تقوية العلاقات القائمة بالفعل . لقد أدى خطنا السياسى الذى يهدف فى المقام الاول الى القاء كل تدخل أجنبى وتصفية الاستعمار أدى بنا الى أن نقوم بدور ايجابى فى اجتماع القمة العربى ، حيث ساعدنا على التقارب بين البلدان الشقيقة التى تخوض معركة مشتركة ضد الخطر الصهيونى .

وقد ساهمنا فى أن نعيد تحديد معالم المعركة ضد اسرائيل ، لا كمعركة ذات طابع عنصرى ، وانما كمعركة مشروعة للفلسطينيين ضد الغزاة الاجانب الذين طردوهم من أراضيهم . ان قيام اسرائيل ليس سوى عمل ذى طابع مشابه لمحاولات الفاشيست الفرنسيين اقامة نظام فى الجزائر يشبه اتحاد جنوب افريقية ، حيث يريدون أن تحكم أقلية أوربية شعبا بأسره وأن تستغله .

ان العنصرية تضطرم فى اسرائيل ، شأنها شأن اتحاد جنوب أفريقية لا ازاء العرب المسلمين أو المسيحيين وحدهم ، ولكن أيضا ازاء اليهود الذين ينتمون الى أصل غير أوربى . وهكذا عندما أبرزنا فكرة أن المعركة ضد اسرائيل معركة فى جوهرها ضد الاستعمار والامبريالية والعنصرية تمكنا من المساهمة فى زيادة الوعى ، وفى تطور فكر الرأى العام العالمى ، وكسبنا أنصارا جددا الى قضية أشقائنا الفلسطينيين العادلة .

فقد كان الناس أكثر استعدادا للاصغاء الى آرائنا ، لان الثورة الجزائرية تدين كل أشكال العنصرية ، فلسنا نحن الذين نمنع المسيحيين واليهود من أن يقيموا شعائرهم ، ودستورنا يحدد كأحد أهدافه الاساسية الصراع ضد كل أنواع التفرقة وعلى الأخص تلك المبنية على الجنس والدين وهكذا بقيت ثورتنا التى تسير فى طريق الاشتراكية مخلصة للحديث

النبوى الشريف الذى يقول : « لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى » ·

والمسألة تختلف تماما فى بعض البلدان التى تحاول ان تلقى علينا الدروس !

ان اقتراحنا بتوسيع المجموعة الافريقية الاسيوية حتى تشمل بلاد أمريكا اللاتينية دليل آخر على جهودنا الخلاقة ، فهذا النطاق الجديد ، سيسمح بنمو قوى السلام والتقدم فى العالم ·

وستقوم هذه القوى مجتمعة بدور حاسم فى السياسة العالمية ، وعلى الأخص فى السعي لاستتباب السلام ، تلك القضية التى لا يمكن أن تبقى قضية البلدان الكبيرة وحدها · ولكن — مع رغبتنا المخلصة فى الاسهام فى تدعيم السلام العالمى ، وتأكيد سياسة التعايش السلمى — فاننا لن نسمح بالتغاضى عن مشاكل اساسية ·

ولذلك نؤكد فى الوقت الذى نحيى فيه معاهدة موسكو ، كخطوة اولى فى هذا السبيل ، أن المعركة فى سبيل السلام العالمى لا تعنى ابدا أى تناقض مع المعركة التحريرية للشعوب ضد الاستعمار والفاشية ، بل تشكل عنصرا أساسيا فى هذه المعركة . لابد من ابعاد الخطر الذرى ، لأنه يعنى القضاء على الانسانية . ومع ذلك ، فهذه الحقيقة ، لا تعنى الغاء التفرقة بين الحروب العادلة وغير العادلة ، وهكذا يدخل نشاطنا فى المجال الدبلوماسى فى اطار سياسة نشيطة مستقلة بعيدة عن المصلحة الذاتية الضيقة .

وهكذا يزداد عدد الذين يستمعون الينا .

لماذا نقدم برنامجا جديدا ؟

اخوانى واخواتى الاعزاء :

فى غمار المعركة تشكلت الظروف التى تسمح بتجديد بنائنا المذهبى ، ذلك التجديد الذى سيضفى بالتاكيد وجها جديدا على بلادنا وبفضل المعارك التى خضناها أصبحت المشاكل اكثر وضوحا ، واختيار الحلول أمرا أقل صعوبة · واليوم يمكننا أن ننظر الى جبهة التحرير الوطنى كحزب منسق فى تكوينه ، يستلهم قواه الاساسية من قاعدة فلاحية وعمالية أساسا ، وان نقيم البناء الملائم للطريق الاشتراكى الذى اخترناه ، وهذا هو هدف برنامجنا الجديد ·

لماذا نقدم برنامجا جديدا ؟

لقد كان الفضل الأساسى لبرنامج طرابلس – والذى كان بمثابة الميثاق بالنسبة لنا – انه حدد لأول مرة بشكل واضح مواقع القوى الاجتماعية التى تشكل الطابع الاساسى لثورتنا . وقد سمح لنا أيضا بأن نعمق ، فى المجال الايديولوجى ، مفهومنا للثورة ، وأن نحدد معالم القوى المعرقلة التى كانت تقف حائلا دون زحفنا الى الامام ، كما انه كان مرجعا لنا فى الاسلوب الذى واجهنا به مشاكلنا الوطنية والدولية، ولكن منذ أن وضع وطبق برزت حقائق جديدة الى الوجود ، وتحققت خطوات فعلية الى الامام : فمثلا أصبح التسيير الذاتى – وهو ثمرة المبادرة الجماهيرية – حقيقة حية ، وجزءا من حياتنا اليومية .

واليوم سيطرنا على جهاز الدولة ، واختبرناه ، واستطعنا أن نقوم دوره وحدود هذا الدور ، ولذلك كله كان لابد لنا من ان نعمق برنامج طرابلس ، وان نعطى آمالنا صياغة مجسدة .

والبرنامج الجديد ، يحدد أهداف النشاط الواعى للمناضلين والجماهير العاملة فى بلادنا كما انه يحدد فى الوقت نفسه سبل ووسائل تحقيق هذه الاهداف . ان اولئك الذين يريدون أن يجدوا فى البرنامج الجديد اجابة على كل المشاكل الفلسفية ليس لديهم فهم سليم لما يجب أن يكون عليه البرنامج . انه ليس دراسة شاملة فى الفلسفة وفى الاقتصاد وفى التاريخ ، وليس مجموعة من التوجيهات العملية المتعلقة بحل كل المشاكل الصغيرة .

البرنامج يحدد اطار العمل ، وليس المهم فيه هو أن ناخذ كل حل يقدمه على حدة ، ولكن ان ننظر الى الخط العام الذى يطوره ، ويجب أن يكون هذا الخط واضحا للجميع ، انه يتلخص فى :

- اقتصاد جديد .
- جهاز دولة جديد ،
- حزب جديد .

وليس البرنامج مذهبا جامدا او شيئا حدد بشكل نهائى ، ذلك أن الممارسة لابد أن تضيف اليه او تصححه ، ولكن يجب أن تسير هذه الاضافات وهذه التصحيحات دائما فى طريق التقدم ، وفى الاتجاه الذى

يؤدى الى تدعيم الاجراءات المتخذة لمصلحة الجماهير العاملة . وفى برنامج طرابلس كنا نتحدث عن التخطيط الاقتصادى ، ومشاركة العمال فى ادارة الاقتصاد ، وفى ذلك الحين لم نكن نعتقد أننا سنندفع بهذه السرعة نحو التسيير الذاتى ، ذلك التسيير الذاتى الذى كان فى بلدان أخرى ثمرة لتطور بطىء امتد عبر بضع سنوات .

والسبب فى هذا الوضع ، هو أن المبادرة الجماهيرية ، والظروف الخاصة بوصولنا الى الاستقلال ، كانت تشكل عوامل اسراع ، وفرضت علينا أن نختار مبكرا ، نظاما يستجيب للواقع ، وفى الوقت نفسه الى رغبات الجماهير الكادحة . والبرنامج الذى نقدمه برنامج حزب فى السلطة . انه لايحتوى فقط على الاهداف التى يريد أن يحققها الحزب ، ولكن على الاهداف التى حققها الآن بالفعل . ومن خلال دراسة البرنامج ، يمكن أن نتعرف على اصاباتنا للنجاح وعلى اخطائنا ، وأن نحدد الظواهر التى ستنمو وتتدعم فى بلادنا ، وتلك التى حكم عليها بأن تختفى وتموت . ان استغلال الانسان للانسان هو الذى سيموت ، وتموت معه كل العقليات المتخلفة المرتبطة به ، السرقة ، النهب ، البحث عن الامتيازات ، والربح الحرام ، لذلك يجب علينا أن نهضم الافكار الاساسية فى البرنامج ، والروح التى تحركه . والشرط الاساسى لكل ثورة حقيقية ليس أن يقوم بها الشعب فحسب ، ولكن أيضا ان تكون من أجله ، وهذه حقيقة أساسية فى الجزائر ، وكل من يبتعد عن هذه الحقيقة ، سينفض من حوله الناس بالضرورة ! ان الاسهامات الواسعة النطاق والعميقة للجماهير الجزائرية هى التى ضمنت سير الثورة الى الامام ، وحالتدون أن تتعثر ، فى مستنقعات التهادن ، وهى وحدها التى ستضمن مستقبل الثورة ، وواجبنا هو أن نهب بهذه الثورة للوحدة والوضوح ، هاتين الصفتين اللتين يجسدهما الحزب الثورى .

يجب الا يحدد مصير الشعب عن طريق المعارك والمناقشات ، حول الوسيلة الفضلى لقيادته ، بل يجب ان يكون شعارنا الرئيسى : الشعب لايريد وكلاء يحملون عبء الثورة عنه « كل شيء عن طريق الشعب ، كل شيء من أجل الشعب » .

ان أعظم الأبطال لا يستطيعون شيئا بغير الشعب :

فى هذا المجال ، يهمنى أن اوضح نقطة تتعلق بمشكلة ، مازالت تقوم بدور فى تحريف مناقشاتنا ، وهى تعبر فى الواقع عن عقلية

اقطاعية ، وعن اتجاه الآن يضع الانسان نفسه فوق الشعب ، أكثر مما تعبر عن أى شيء آخر . لايوجد سجل للتاريخ ، ان السجل التاريخى الوحيد الذى يستحق التسجيل هو سجل أولئك الذين سكبوا دماءهم بغزارة فى سبيل تحرير الجزائر : ديدوش ، ابن مهدى ، بن بو العيد ، زبانة ، لطفى ، الحاوس ، بوجيرة ، عمرنش وأسماء أخرى كثيرة مجيدة، ان السجل التاريخى الوحيد ، هو اليوم سجل أولئك الذين يكدحون بصبر ، والعرق يتصبب من جباههم حتى يعيدوا بناء بلادهم . اننى أكرر جملة قالها رجال أخطئوا ، عندما استخدموها ضدى : «لايوجد سوى بطل واحد هو الشعب» واذ أكرر هذه الجملة ، اكررها لأنها صادقة ، فأعظم الابطال لايستطيعون شيئا بدون الشعب . وهذه ليست بالنسبة لنا كلمات فارغة ، لقد أثبتنا تمسكنا بها فى الواقع عندما سلمنا الفلاحين والعمال ادارة وسائل الانتاج . وعندما هيأنا الفرص أمام المنتجين خلال مؤتمر لجان التسيير الذاتى فى الزراعة وفى الصناعة ليناقشوا بأنفسهم مشاكلهم ويحددوا الحلول الملائمة .

ولكن اذا كانت اسهامات الجماهير شرطا ضروريا لوصولها الى الادراك الواعى فان الادراك الواعى بدوره ليس له سلاح أفضل يسهل ازدهاره ، من المعارك فى كل أشكالها .

ان التغاضى عن كشف الاعداء ، وتمزيق الستار عن مناوراتهم امام أعين الشعب والتغاضى عن تكتل الجماهير ضد الاعداء — يؤدى الى وضع العراقيل أمام القوى الاشتراكية بدورها القيادى . ولايستطيع أكثر القادة ثورية وبعدا فى النظر ، أن يحققوا شيئا ايجابيا دون زيادة وعى الجماهير بفضل الصراع الايديولوجى ضد الافكار الخاطئة ، وهكذا ، اذا لم نخض المعركة ضد الافكار الرجعية دون هوادة، فستكون اكثر الجماهير ثورية عاجزة عن العمل .

وفى الجزائر ، ينبع الطابع الشعبى الذى لابد منه لحركتنا الاشتراكية ، من تاريخ الحركة الوطنية نفسها . فان فشل المساومات التى كانت تهدف الى تثبيت العلاقات الاجتماعية لمصلحة الفئات الممتازة ، ليدل على وعى ويقظة جماهير شعبنا ، ففى كل مرة كانت تميل القيادة فيها الى أن تتسم بطابع بورجوازى ، وتنعزل عن الدفاع عن مصالح الشعب ، كان مآلها الانهيار تحت ضغط اكثر المناضلين تقدما وارتباطا بالشعب ، حتى عندما كان يمثل هؤلاء المناضلون أقلية عددية .

ان النضج السياسي لجماهيرنا وتعطشهم للعدالة والمساواة وكراهيتهم للاستعمار ــ تفرض ديمقراطية من النوع الشعبي الأصيل، أي النوع الذي يتأسس في المقام الأول على الغاء استغلال الانسان للانسان . وقد عبرت جبهة التحرير ، في أيامها الاولى ، عن كل مميزات الشعب الجزائري . كانت الجبهة الوريث الشرعي للرواد الأوائل في المعركة ضد الامبريالية ابتداء من « عبد القادر » حتى « نجمة افريقية الشمالية» ثم «حزب الشعب الجزائري» الذي فتح المناضلون في صفوفه مثل كحالي وعارسكي وعاسلاه وشرافة ابراهيم ولعميش وبلوزداد باخلاصهم وتضحياتهم الطريق لانتفاضة «أول نوفمبر عام ١٩٥٤» .

الثرثارون وحدهم :

لقد كانت ثورتنا منذ ميلادها ديمقراطية وشعبية الى اقصى درجة . وقد أقام الفلاحون والعمال عندما احتلوا الاراضي والمصانع الشاغرة ، الاسس الموضوعية للاشتراكية في الجزائر ، تلك الاسس التي كانت تنبع بشكل منطقي من الروح التي حركت أنصار المقاومة الأوائل، وقد رسم الشعب بنفسه مرة أخرى الطريق الذي يسمح له بتخطي المشاكل والخلافات المصطنعة . فعندما حولت السلطة المبادرة الجماهيرية الى شكل مجسد واع عن طريق استصدار قرارات مارس ، عبرت تلك السلطة عن الثورة كجزء منه ووقفت بحزم لسد الطريق على أولئك الذين كانوا يحلمون بالاستحواذ على المغانم .

وبفضل نضال الجماهير أدركنا الأخطاء والانحرافات التي أصابت القيادات السابقة ، عندما كانت تتحكم في مصاير الشعب الجزائري ، ولهذا السبب قمنا بتحليل تاريخنا على أساس الطريق الاشتراكي الذي اخترناه ، واليوم ، يجب علينا ان نستمر نحو الآفاق التي فتحتها الجماهير العاملة ، حتى نصل الى مجتمع مؤسس على المبادىء الاشتراكية ، وهذا يعني :

- اعادة توزيع الثروات على أسس عادلة .
- اعادة نشر الثقافة على أسس عادلة .
- السلطة للمنتخبين .

وهذه المبادىء التي يرتبط تطبيقها ارتباطا وثيقا بتقدم البلاد ،

ليست مبادىء يمكن تأجيلها الى أجل غير مسمى ،ولكن يجب أن تتجسد في شكل جنيني خلال كل اجراء من الاجراءات التى تتخذها . يجب على كل اجراء جزئى ان يدفعنا خطوة أخرى الى الامام . وعلينا الا ننسى حقيقة أساسية : ان نجاح أى اجراء ليس أمرا مستقلا عن واقع القوى الاشتراكية ، وهو ليس منعزلا عن توازن القوى فى ميدان المعركة بين انصار الاشتراكية من ناحية ، وبين الانصار المكشوفين والمستترين للرأسمالية من الجانب الآخر . ان المعركة فى سبيل انتصار الاشتراكية ستكون طويلة وصعبة ، ولايوجد سوى الثرثارين والمستهترين ليعتقدوا انه يمكن الانتقال من اقتصاد متخلف مازال متأثرا الى أقصى درجة بظروف النظام الاستعمارى ، الى اقتصاد اشتراكى بمجرد التلويح بعصا سحرية ، وتجاهل هذه الظروف معناه السير فى طريق الاستهتار السياسى والاجتماعى ، ومعناه أن نحكم على أنفسنا بأن نقوم بمجرد الاثارة العاجزة عن تغيير شيء ما . فما هذه الظروف ؟ ان التقرير المجمل المضاف الى البرنامج والذى يتناول الوضع الاقتصادى والاجتماعى غداة الاستقلال ، ليعبر بشكل كاف عن هذا الموضوع ، ولذلك سأكتفى بايراد عدد من الملاحظات أنوى العودة اليها ، عندما أتناول بالبحث مشاكل الدولة والحزب .

عندما تكونت الحكومة الأولى للجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية ، كانت البلاد قد خرجت فى التو من حالة الفوضى ، وفى هذا الوقت كان النشاط الاقتصادى مازال مشلولا والمصانع مغلقة أو مخربة، والمواصلات البحرية متوقفة ، ودائرة التوزيع مقطوعة ، ومع تدفق سكان الريف وسكان مراكز التجميع (*) نحو المدن .. تفاقمت البطالة، وكان الانهيار المفاجىء فى شبكة الفنيين يؤثر بطريقة ضارة للغاية على الانتاجية وعلى قدرة البلاد فى المحافظة على طاقتها فى الانتاج . وكان رحيل رءوس الاموال من البلاد فى قمته ، وقد انتهز أصحاب رءوس الاموال الظروف السياسية التى كانت غامضة حتى ذلك الوقت ، لسحب رءوس أموالهم وعدم تجديد بضائعهم المخزونة ونقل قيمة ممتلكاتهم الى فرنسا .

وفى مجال النقد ، كانت هناك أزمة حقيقية فى السيولة ، زاد من حدتها امتناع الاوربيين عن الدفع ، وكان حجم النقود المتداولة فى

(*) كان المستعمرون الفرنسيون يجمعون الأهالى فى مناطق محاطة بالأسلاك الشائكة سميت باسم (مراكز التجميع) .

البنوك والتى كانت تضم الجزء الاساسى من عمليات التبادل لايساوى الا ٦٠٪ من رقمه فى ديسمبر عام ١٩٦١ ، يضاف الى كل ذلك أن الدولة لم تكن قادرة على تحصيل الضرائب ، ولذلك كانت مواردها تتناقص باستمرار .

ومن ناحية اخرى انسحب عدد من الكوادر السياسية من حياة النضال ليكرسوا انفسهم لشئونهم الخاصة ، وسيطرت روح اتسمت بالبحث عن الربح والمتعة المادية ، اما الادارة الحكومية فكانت تعرقلها اللوائح المعقدة ، والحواجز بين الادارات المختلفة ، بل والمنافسة بينها .

وخلف كل هذه المظاهر السلبية كانت تستتر عوامل تقوم بدورها : ضعف الركائز الاقتصادية فى البلاد ، وتخلفها ، وتبعيتها لفرنسا ، وسلطة سياسية تهاجمها الطبقات صاحبة الامتيازات ، ولكن هذه السلطة السياسية كانت مصرة على أن تضمن استئناف النشاط الانتاجى فى الصناعة والزراعة ، وان تدفع عجلة الادارة خطوات أولى فى العمل ، وأن تخلق الظروف السياسية التى تسمح بايقاف التدخل الاجنبى ، وأن تدخل الوضوح على الوضع الداخلى حتى تستأنف الثورة سيرها .

ويمكننا أن نقول : اننا نجحنا فى تحقيق الاهداف التى كنا قد حددناها لأنفسنا .

اما الصعوبات التى واجهناها ، والنواقص التى صبغت عملنا ، فكان لها أساس موضوعى : فأخطاؤنا اخطاء رجال يتقدمون ويصلحون اخطاءهم خلال الطريق ، اننا نسير مع وقع اقدام فلاحينا وعمالنا الذين كانوا فى اللحظات الحرجة لتاريخنا الحراس اليقظين على تراثنا ، اننا لم ندع قط أننا فاعلو معجزات ، وهذا الدور لايناسبنا على الاطلاق انه دور محترفى التضليل !

ان التناقض بين الاحتياجات وبين الامكانيات المادية لن يتلاشى الا عندما يصل اقتصادنا الى مستوى مرتفع فى تطوره ، وفى الوقت الحالى فان وجود قوى معادية للاشتراكية أمر حتمى ، ولايمكن القضاء على هذه القوى بالوسائل الارهابية او الاجراءات الادارية ، فطالما اننا لم نقتلع ــ بشكل نهائى ــ جذور الرأسمالية ، سيجد العدو الداخلى أساسا يستند اليه ، لذلك علينا أن نستند بقوة الى الفلاحين والعمال ، وأن ندعم تحالفهم ، وأن نقوى مراكزهم الاجتماعية ، وأن نناضل دون رحمة ضد الثورة المضادة المتمثلة فى المجموعات المسلحة ، وكذلك ضد

الليبرالية المجردة التى تدافع عنها المراتب المتوسطة فى المجتمع ، وكذلك بعض المثقفين .

هذا هو دور الدولة والحزب .

بعض الملاحظات

قبل ان نتنـــاول مسألة الدولة وطبيعتها ، وأهمية الدور الذى تقوم به فى تحطيم البناء الراسمالى وتدعيم البناء الاشتراكى ، لابد أن نقـــدم بعض الملاحظات التى ستسمح لنا بأن نقوم المسائل فيما بعـــد بمقاييس أكثر موضوعية .

أولا ــ ليست لدينا تقاليد لجهاز الدولة وهذا الوضـــع نتـــاج لشكل السيطرة الاجنبية التى عـــرفتها بلادنا : ففى تونس والمغرب ، عندما تغلغل الاستعمار داخل هذين البلدين حافظ على جهاز الدولة الوطنى ، واكتفى فقط بأن يكون الى جانب كل ادارة تونسية أو مغربية، ادارة فرنسية مماثلة .

وبناء على هذا الوضع ، تمكن عدد من الكوادر التونسية والمغربية من الحصول على خبرة الحكم ، ومن ناحية أخرى يجب أن نضيف أن الأحزاب الوطنية فى هذين البلدين الشقيقين قد لاقت مساندة هامة من قبل الموظفين والكوادر العليا فى الدولة . وغداة حصول البلدين على الاستقلال ، لم تكن مشكلة احلال الكوادر الوطنية محل الكوادر الاجنبية مشكلة صعبة . فقد كان المناضلون بالفعل يقودون جزئيا جهاز الدولة وقد أمكن التخلص من العناصر التى تهادنت مع الاستعمار دون كثير عنـــاء .

ولكن الوضـــع كان مختلفـــا فى الجزائر ، حيث لم تؤثر الحركة الوطنية الا قليلا فى أوساط الموظفين الجزائريين ، كما أن هؤلاء الموظفين اقتصرت مسئولياتهم على المهام الصغرى الا فى عدد قليل من الحالات الاستثنائية .

ثانيا ــ لم تكن الجهود التى بذلت لتكوين الكوادر خلال الحرب التحريرية موجهة بشكل منظم ، على أساس الدور الذى ستقوم به بعد اعلان الاستقلال .

ثالثا ــ المســـاعدات الفنية الاجنبية تحتل مكانة هامة فى حيـــاة الدولة ، وعلى الاخص فى القطاعات العليا من الموظفين .

رابعا ـ بعض مناطق البلاد تفتقر بشكل كامل تقريبا الى جهاز ادارة .

ثلاث مهام ملحة

هذه حقائق هامة ، لابد من ادراكها ، حتى يمكن فهم مشكلة تطهير الجهاز الادارى ، ذلك التطهير الذى يجب النظر اليه من وجهة سياسية محضة ، ومن ثم لايمكن تناولها بتبسيط مخل . وستبقى المشكلة الاساسية خلال فترة بأكملها ، هى مسألة الرقابة السياسية على الادارة واعادة بنائها على ضوء الاهداف التى حددناها وسينضج جهاز الدولة الجديد ويكتمل فى أتون المعارك . وسيتطهر خلال نضاله ضد الطبقات صاحبة الامتياز . ومن اجل الدفاع عن مصالح العمال والفلاحين ، وفى هذا المضمار يجب أن نكافح دون هوادة ضد أى اتجاهات أولئك الذين يؤكدون ان بناء جهاز الدولة ، لابد ان يأتى قبل الثورة ، فمثل هذا الطريق خاطىء تماما ، وهو لن يؤدى ـ اذا سرنا عليه ـ الا الى وضع السلطة بين ايدى أولئك الذين يستحوذون على الثقافة والتجربة السياسية ، أى بشكل عام الى العناصر المرتبطة بالبورجوازية . ولذلك يجب أن ندين هذه النظرية القائلة بضرورة اقامة جهاز الدولة أولا ، وأن نبين للجماهير انها نظرية أولئك الذين يريدون أن ينهبوا الشعب .

ان دولتنا ملك للعاملين ، ولكل الذين يقفون فى صف الاشتراكية ، وبفضل دورها ، وبفضل تكتيلنا لجماهير الشعب سنتمكن من سحق أعداء الاشتراكية .

وخلال قيامنا بمهمة بناء الدولة ، يجب أن يكون هدفنا الاساسى، تقليل الهوة التى تفصل بين الحاكمين والمحكومين الى أقصى درجة ممكنة ، واشراك المواطنين العاديين وخاصة المنتجين الى اكبر قدر ممكن فى مهام التوجيه والتقنين . والتسيير الذاتى يسير فى هذا الاتجاه .

ويجب أيضا أن نقلل ونبسط أجهزة الدولة ، وأن نعارض بحسم الاسلوب الشكلى البيروقراطى فى تناول المسائل ، الذى تتسم به الادارات المركزية فى تعاملها مع الادارات المحلية ، والادارات بشكل عام فى علاقاتها بالمحكومين . ان الشكلية تسبب تخريبا واسعا ، وعندما يذهب شخص ما الى اى مكتب ، كثيرا مايتحدث اليه الموظفون وكأنهم يخاطبون خبيرا من الخبراء : فمثلا لايعرف سوى عدد قليل من الجزائريين العاديين كيف يملئون استمارة الضرائب أو التأمينات

الاجتماعية ، وفى كثير من المناطق يكون الصراف وحده هو العليم بمثل هذه الامور ، وفى بلاد تتسم بمستواها الثقافى المنخفض ، تصبح الشكلية فى ادارات الحكومة أحسن وسيلة لمضاعفة أعداد الكتبة العموميين والمهن الطفيلية الاخرى . وبهذه المناسبة آن الأوان لننظم بشكل حكيم توزيع العمل بين الاجهزة المركزية والادارات المحلية واضعين فى تقديرنا كل النتائج المترتبة على التسيير الذاتى .

ومع ذلك ، يجب الا تؤدى رغبتنا فى سد الهوة التى تفصل بين الحكام والمحكومين ، الى أن نقلل من دور الدولة ، والبرنامج الجديد ليس واضحا بالقدر الكافى فى هذه المسألة . فالدولة ليست مجرد خضوع الاقلية للأغلبية ، انما هى الجهاز الذى يفرض قانونه على الفئات الممتازة باسم مصالح الجماهير العاملة ، وطالما أن هناك مجموعات راسمالية فى اماكن مختلفة ، وطالما بقيت الرغبة فى الاثراء الفردى ، يجب أن يمارس نوع من الاجبار المنظم على المواطنين ، حتى لايبددوا الثروة الوطنية ، ولا يستولوا على قسط زائد على الحد من موارد الاستهلاك .

وفى مجال الدولة تقع على عاتقنا ثلاث مهام رئيسية :

أولا ــ البدء فى اعادة تنظيم الادارات المحلية ، عن طريق التنسيق والتداخل بين لجان التنشيط الاشتراكى والمجالس الشعبية المحلية . ثم الانتقال فورا الى اجراء الانتخابات المحلية .

ثانيا ــ ممارسة رقابة حاسمة ازاء اجهزة الدولة .

ثالثا ــ فى مستوى المكتب السياسى يجب اقامة جهاز يكون دوره جمع كل الاقتراحات ، والنقد الذى يأتى من المناضلين أو من الشعب ، مما سيسمح بتصحيح الاخطاء ، والحد من سوء استخدام السلطة والتخريب والمطاردة التى يكون ضحية لها أحيانا ، مناضلون اشتراكيون حقيقيون .

وانتقل الآن الى مسألة الحزب ، انها أهم مسألة فى أعمالنا ، عندما انتهت حرب التحرير كانت جبهة التحرير مكونة من تيارات مختلفة تحركها اتجاهات مختلفة وفى غيبة اطار منظم ومجسد اقتصرت الحياة الداخلية فى الحزب على نشاط الهيئات القيادية ، ولكن اليوم يظهر الحزب بفضل الاجراءات الثورية التى اتخذتها السلطة فى ضوء جديد فقد تم تحويله وصقله من جديد خلال المعارك السياسية المتتالية ، ولم تتم هذه التغييرات دون حدوث نوع من الاضطراب ، ولكن تدخل

الجماهير والمناضلين فى مختلف المناسبات سمح فى كل مرة بالتغلب على الصعوبات . والآن ليست المسألة التى تواجهنا هى اعادة احياء الشكل القديم لجبهة التحرير ، وانما بناء جهاز قادر على الدفاع عن الاشتراكية بشـــكل منتظم ومطرد ، ودفع التحول الاشتراكى الى الامام ، وذلك باتخاذ البناء القائم الآن كنقطة بداية « وبالتأكيد لن تؤدى أية تعليمات أو صيغ ، الى تحقيق الاشتراكية ، ان لم تحمل الجــزائر بذورها فى احشائها . ولكن هذا لايعنى أن احتياج مجتمعنا الى قوة دافعة ليست حقيقة قائمة فعلا ، وهذه القوة الدافعة هى الحزب الواحد ، حزب واع بمصالح الجماهير الكادحة ، حزب اختط طريقه بحسم ، ويستطيع أن يضفى المغزى الحقيقى على كل المبادرات الجماهيرية .

وحتى يتمكن هذا الحزب من تقوية صلاته بالجمــاهير الكادحه لابد من أن يكون تقديره لهذه العلاقات تقديرا سليما ، ويجب أن يتفادى المناضلون من الظهور فى ثوب المستشــارين والناصحين . ذلك انهم اذا كانوا تجسيدا لمراتب الشعب الاكثر وعيا يجب الا يحلوا محله ، بل أن يتعلموا منه ، وأن يسعوا دائما الى التحرك بشـــكل مباشر على قدر الامكان ،يجب النضال بكل قوة ضد روح التحكم والغرور لأنهما يضعفان دور الحزب ويسهلان نشاط القوى المعادية للاشتراكية .

شرط جوهرى للنجاح :

وقد آن لنا أن نقول ان وحدة الحزب التى هى شرط اســـاسى للنجاح معرضة للمخاطر ، ويجب أن نكون يقظين بشكل خاص فى هذا المجال ، وألا نسمح للحزب بأن يصبح اداة طيعة ، اداة للتصفيق يجمع فى صفوفه الموافقين دائما .

كما يجب الا نسمح له بأن يصبح وحشا يتحكم فى الشعب ، وحتى نتفادى من مثل هذه المخاطر يجب أن تفرض الاساليب الديمقراطيـــة نفسها فى الواقع ، تلك الاساليب التى تسمح بحرية المناقشة والنقد داخل تنظيمات الحزب ، والتى تسمح من جانب آخر بوجــود صلة وثيقة متبادلة بين الحزب والشعب ، وكأنما تدور مناقشة مستمرة بينهما .

وفى المعركة من أجل تطبيق الاشتراكية ، لايكفى وجــود الخط السليم وحده ، فلا يوجد نجاح تلقائى . وكل شىء يتحقق عن طريق الكفاح الشـــاق من أجل تحقيق خط الحزب ، ان تجاهل الظـــروف

الذاتية والموضوعية ، ورفض القيام بعمل طويل وصبور لاقناع الناس لابد أن ينتهى الى عزل الحزب . ان أولئك الذين يستندون دائما الى ماضيهم ، حتى يضعوا انفسهم فوق الجماهير يعطون فكرا خاطئا عن الحزب ، وينسفون القواعد التى ينبنى عليها الحزب ، ويضيقون نطاق الجماهير التى تسمع اليه . ان واجبنا هو أن نساعدهم على تصحيح أخطائهم ، وأن نبين لهم أن الكفاح هو خدمة الناس وليس امتيازا ، ولكن حتى نتخلص من أساليب الماضى ، وننمى روح المسئولية عند المناضلين والكوادر — من المهم للغاية اجراء تنظيم ديمقراطى للحزب على اساس اللائحة الجديدة .

١ — كل الاجهزة القيادية فى المستويات المختلفة للحزب منتخبة .

٢ — على الاجهزة القيادية فى المستويات المختلفة للحزب أن تولى آراء الأجهزة الدنيا ... اذنا مصغية .

٣ — التنظيمات الدنيا تقدم حسابا عن نشاطها للتنظيمات العليا .

٤ — المبدأ الاساسى فى تحرك الاجهزة القيادية هو مبدا القيادة الجماعية ، ولكن هذا المبدأ يرتبط دائما بالمسئولية الفردية .

٥ — على أعضاء الحزب أن يخضعوا لمنظمات الحزب ، كما تخضع الأقلية للأغلبية ، والتنظيمات الدنيا .. للتنظيمات العليا ، وعلى جميع تنظيمات الحزب أن تخضع للمؤتمر الوطنى وللجنة المركزية .

وهناك مسائل أخرى متعلقة باللائحة ، يجب ان ننبه اليها بشكل خاص ، وهى تلك المسائل المتعلقة بتوسيع الخلية ، وبالتكوين الاجتماعى للحزب ، وبدور خلايا المؤسسات ، وبوحدة صفوف الحزب .

وحتى الآن كانت نظرتنا لحزب الطليعة متسمة بشىء من ضيق الأفق ، ولم نكن ندرك أهمية الخلية ، كنواة أساسية فى ربط الحزب بالجماهير الشعبية ، ولهذا السبب كان تنظيم الحزب مشابها للوضع الذى كان قائما فى فترة السرية ! خلايا تشمل عددا محدودا من الاعضاء مع كثرة المستويات بين القاعدة والقمة ، وهذا الوضع كان بلاشك يشكل عنصرا معرقلا لمبادرة القاعدة ، وكان يعطى الأجهزة فى ذاتها الاهمية الأولى . أما الآن ، فالوضع سيختلف .

ان تنظيمات القاعدة ستكون العنصر البناء الاساسى فى الحزب .

التصرفات العملية تضرب المثل :

يثير التركيب الاجتماعى للحزب المسائل المبدئية ، ان مشروع اللائحة يحتم الا يستغل عضو الحزب عمل الآخرين . فمع التقدم فى البناء الاشتراكى ينحصر نطاق استغلال عمل الآخرين ، ولكن مازال لدينا مستغلون ، وروح الاستغلال قائمة حتى الآن ، ولايستطيع الحزب أن يسمح بدخول المستغلين داخل صفوفه ، والا هددته مخاطر التحلل والروح البورجوازية :

وينص مشروع اللائحة أيضا على أن الحزب يستمد قواه من الفلاحين والعمال ، وهذه مسألة مفروغ منها ، فالاشتراكية تهدف أول ما تهدف الى تحرير القوى الاجتماعية ، والتنظيم الديمقراطى لهذه القوى ولنشاطها داخل الحزب ، يعطى الحزب صلابته وقدرته . وخلال السنة القادمة يجب أن تكون القاعدة العامة ، ألا نقبل داخل الحزب سوى انضمام الفلاحين الفقراء والعمال ، حتى ندعم عمل الحزب فى مجال الانتاج . وفى هذا النطاق فان خلايا المؤسسات سيكون لها دور «كبير» ، ولكن حتى نتفادى من خطر احلال أعضاء الحزب فى المصنع محل النقابات ، وتحويلهم اياها الى مجرد أسلاك للتوصيل ، حددنا لهم مهام التنشيط والرقابة اليقظة ، أما النشاط فى المجال الاقتصادى والاجتماعى ، فهو من اختصاص النقابة . ونظرا لان أعضاء الحزب فى المؤسسة يقومون فقط بالمهام السياسية يجب أن يناضلوا على الاخص فى الاحياء ، وأن يساعدوا على تطوير نشاط الحزب . ومن واجب المناضلين أن يضربوا المثل بتصرفاتهم العملية واخلاصهم وتفانيهم فى خدمة الشعب .

ان وحدة الحزب وتماسكه أساسان لتوسيع نفوذه ، والحزب لا يتطور مستقلا عن المحيط الذى هو فيه ، لانه لا يحيا فى قمقم ، فرغبات المراتب الاجتماعية المختلفة والاتجاهات البيروقراطية ، تحاول حتما أن تجد لنفسها تعبيرا سياسيا فى داخل الحزب . ولهذا السبب فان بلورة رأى الحزب ، يجب ألا تتم دون مناقشة ، ولكن ، تنفيذ قرارات الحزب والمحافظة على وحدته يتوقفان أيضا على تثقيف الاعضاء . يجب أن ندرس حتى نكون أقدر على القيادة ، وأن نزيد من العمل الايديولوجى فى كل المستويات ، وأن نكشف التيارات المعادية للاشتراكية ونناضل ضدها .

ان البيروقراطية وفقدان التكوين النظرى ، هما العدوان الأساسيان لتماسك الحزب ، ولكن يوجد أيضا البحث عن المناصب والانتهازيين من صفوف الحزب ، وأولئك الذين يستخدمون الحزب لاغراضهم الشخصية .

وحتى يكون المناضلون فى الحزب جديرين بالشعب الذى يخدمونه ، يجب أن تتوافر فيهم بعض الشروط ، وهذه الشروط تعود بنا الى حقيقة ان الثورة التى تريد أن تكون بالفعل فى خدمة الشعب لا يمكن أن يقودها باخلاص حتى النهاية سوى رجال يندمجون فيها ويعيشون حياتها .

وهكذا فان احدى مهامنا الاساسية تحديد حد أقصى لهدايا كوادر الحزب فى تنظيمنا ، وفى الدولة .

ويجب أن نستجيب أيضا لمطالب جميع المناضلين ، وذلك باتخاذ قرار يحتم على كوادر الحزب تقديم كشف حساب عن الممتلكات التى يحوزونها أو التى حصلوا عليها منذ نوفمبر عام ١٩٥٤ . ويجب أن يتسع هذا القرار ليشمل جميع المسئولين فى الدولة أياكان مستواهم ، ان نجاح ثورتنا يعتمد أيضا على معدن كوادر الحزب ، ولذلك فلا بد ان يكونوا أحسن المناضلين الذين صقلتهم المعركة ووصلوا الى درجة عالية من الوضوح الفكرى ، والوعى الثورى .

ويبقى علينا ، قبل أن نستعرض بعض المشاكل الاساسية المتعلقة ببنود البرنامج أن نتناول بالبحث مسألة التنظيمات الجماهيرية والدولة فى علاقتها مع الحزب .

ويجب علينا أن نبرز أولا الدور الاساسى لنقابات الفلاحين والعمال فى بناء الاشتراكية . وحتى الآن ، لم نعط مشاكل هذه النقابات اهتماما كافيا ، بل أكثر من ذلك ، ففى كثير من المجالات لم نفرق بينها وبين التنظيمات الجماهيرية الاخرى ، وهذه نظرة خاطئة .

ومن الآن فصاعدا يجب أن نحرك جميع العمال أعضاء الحزب ، وأن نوضح لهم أهمية النقابات وضرورة الانضمام اليها .

ان قيمة العمل الذى تقوم به النقابات تتوقف على دفاعها عن المصالح الاقتصادية والثقافية للعمال ، وعلى قدرتها فى زيادة الانتاج وانتاجية العمل ، وعلى أجهزة الحزب أن تستنير بآراء أعضاء الحزب الذين يناضلون فى النقابات كلما واجهتها مشاكل تتعلق بالجماهير العمالية . ان تأثير سياسة الحزب فى النقابات يرتبط ارتباطا وثيقا بقدرة مناضلينا على حل المشاكل التى يتقدم بها العمال . وليست مكانة الحزب هى التى ستوسع نفوذ مناضلينا فى النقابات ، بل على العكس ان نشاط مناضلينا فى النقابات هو الذى يدعم مكانة الحزب . يجب أن نتخلص من الاساليب التى تعتمد على فرض الاشياء من أعلى ، وعلى تحويل النقابات الى مجرد

أسلاك للتوصيل ، ويجب أن تكسب هذه المعركة بالنضال الصبور العنيد وبالتوضيح المستمر لسياسة الحزب السليمة ٠

وعلى الحزب أن يختار المسئولين النقـابيين من بين العناصر التى تعمل ، لان هذه العناصر وحدها هى القادرة على خلق صلة سريعة بجماهير العمال الواسعة ، وفى الوقت الحالى فان مهمة النقابات الاساسية ، هى المساعدة على تدعيم قطاع التسيير الذاتى ، والاهتمام بشكل خاص بالعمال الموسميين ٠

جيل بناة الاشتراكية :

الى جانب النقابات التى تعبر عن احتياجات العمال ، يمثل شباب جبهة التحرير ، والاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات ، قوى ثورية كامنة من الخطر أن نقلل من قيمتها ٠

ان الشباب هم القوة الحية فى البلاد ، بحكم عددهم واندفاعهم ، ويقع على عاتق شباب جبهة التحرير تحريك الشباب ، وجذبهم الى مهام البناء عن طريق التطوع فى العمل ٠ ان الشباب يمثلون بالنسبة لحزبنا أفضل وسيلة لنقل تقاليد البلاد والشعب الثورية الى الاجيال القادمة ٠ واذا كان الاتجاه لخلق تعارض بين الشباب والشيوخ اتجاها خاطئا فان الاتجاه الى سحق الشـباب تحت ثقل الحجج المبنية على ضرورة احترام الكبار يجب رفضه أيضا ٠ واذا بذلنا الجهود دون تسرع ، واذا حاولنا أن نفهم منبع النواقص التى فى الشباب حتى نعالجها بالتعاون مع الشباب وليس بمعزل عنهم فسيكون لدينا بعد بضع سنوات جيل من المناضلين من النوع الجديد ، جيل بناة الاشتراكية ٠

والمسألة نفسها بالنسبة « لاتحاد النساء » : ان تحرير المرأة ليس مسألة ثانوية تضاف الى أهدافنا الاخرى ، انها مشكلة يشكل حلها تمهيدا لازما لأى نوع من الاشتراكية ٠ ان وضع المرأة يجعل منهـا قوة ثورية لا حدود لها ، وقد أثبتت الحرب هذه الحقيقة بشكل كاف ٠ ان المسألة بالنسبة لنا ليست وضع المرأة على قدم المساواة مع الرجل من الناحية القانونية فحسب ، ولكن يجب أيضا ، وفى المقـام الاول ، أن نجعلها تشترك بشكل كامل فى كل جوانب حياتنا ٠ ويجب على حزبنا ألا يقبل بتر نصف المجتمع الجزائرى ، وفى اطار القيم المعنوية لشعبنا يجب على الاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات أن يشمل النساء ، وأن يتقدم بهن ، وأن يتخلص من نفوذ نساء الصالونات ، وسيدات المجتمع ، اللاتى يعملن

فى مجال البر والخدمة الاجتماعية . يجب أن يصبح الاتحاد قوة حية ، تحركه المناضلات الشابات ، والعاملات فى الريف والمدينة ، اللائى تعودن النضال المستمر ، ضد التحيزات الاجتماعية التى تجعل من المرأة كائنا ناقصا .

التفادى من الخلط بين الدولة والحزب

وفى النهاية ، حتى نختم الكلام عن وسائل تحقيق الاشتراكية يجب أن نبحث مسألة العلاقة بين الدولة والحزب ، وهو مجال أدى الخلط فيه الى أضرار بالغة . واذا لم نقم بتوضيح جدى فى هذا المجال فى الوقت المناسب ، فسننتهى لا محالة ، الى تحطيم هيبة الدولة والحزب ، وكل هذا بالطبع باسم الثورة وحسنات الماضى الخ .

والمناضلون منظمون بطريقة مختلفة فى جهاز الدولة والحزب :

منظمون فى جهاز الدولة على أساس الهرم الوظيفى ، وهذا يحدد علاقة كل منهم بالآخر ، وعلاقتهم بالموظفين العاديين : فمثلا قد يكون موظف عادى من غير المناضلين مسئولا عن أحد المناضلين فى اطار تنظيم الدولة ، كما يحدث أن يكون أحد أعضاء الخلايا رئيسا لعضو فى لجنة المنطقة ، أما فى الحزب ، فان الجميع متساوون ، ويسهمون فى تحديد وتوجيه سياسة الحزب .

ان ميزة الحزب على الدولة هى قدرته على تجميع خبرة جميع المناضلين ، ومن خلالهم خبرة أوسع الجماهير الشعبية ، وأن يستخلص منها النتائج ، وأن تحدد اتجاهه على هذا الأساس .

ان حزبنا فى السلطة ، وهو يحتل نتيجة لهذا الوضع مركزا قياديا فى الدولة . وهذا ليس سببا لتحويل دوره فى التنشيط السياسى الى عملية ادارة مباشرة لأجهزة الدولة ، والى عملية تدخل فى كل المسائل الادارية .

فاذا سار الحزب فى هذا الطريق فسيصبح مجرد جهاز بيروقراطى ، وليس جهازا للتنشيط السياسى ، فكيف ننظم العلاقات بين الحزب والدولة ؟

يجب أولا أن يخضع جميع أعضاء الحزب الذين يتولون مسئوليات فى اطار الدولة ، لقيادة الحزب ، ويجب بعد ذلك أن يفتح الحزب المناقشات فى داخله حول المسائل السياسية ، ومشاكل تنظيم الدولة بصفة دورية .

وأخيرا من واجب الحزب أن يتعرف على ظروف العمل فى الادارات المختلفة ، حتى يمكنه أن ينشط وأن يمـارس عليها رقابة سـياسية حقيقية ٠

وهذه النظرة الى العلاقات بين الحزب والدولة ، تبعدنا بوضوح عن أسلوب التدخل اليومى فى حياة الادارات الحكومية ، ذلك الاسلوب الذى يجب أن نشن الحملات ضده باستمرار ٠ وليس من مهمة كل عضو على حدة ، أو كل تنظيم من تنظيمات الحزب على حدة ، أن يأخذ على عاتقه تصحيح أخطاء الادارة ونواقصها فى العمل ، والتصرفات الضارة باقامة علاقات سليمة مع الشعب ٠ وانما تكون هذه مهمة الحزب ككل ٠

ومع ذلك فان كل الشروط التى أشرنا اليها لا تكفى للتفادى من الخلط بين الحزب وجهاز الدولة ، بل يجب أن نكملها بأشـياء أخـرى ، ومن الضرورى أن تكون أغلبية أعضاء الحزب الذين يتولون مراكز قيادية خارج نطاق جهاز الدولة ، فاذا تولى أغلبية أعضاء المكتب السـياسى أو اللجنة المركزية ، مراكز فى الدولة ، فان الخلط بين الحزب والدولة ، بين التنشيط السياسى والادارة المباشرة سيخلق من جديد ٠

ان مشروع البرنامج الذى عرض عليكم قد حدد الأهداف ، ووسائل تحقيقها، ولكنه مع ذلك يحتوى على بعض النواقص التى يجب أن نعالجها :

فمثلا الجزء التاريخى من البرنامج يبدأ بالقرن السادس عشر ، وبحكم اشتراكى فى أعمال اللجنة أعلم أن الهدف كان القيـام بدراسة للحركة الوطنية منـذ أوضاع الجزائر عام ١٨٣٠ ، ولـكننى أعتقد أنه كان من الممكن بل ومن الواجب تناول فترات تاريخية سابقة على هذه السنة، فالجزائر لم تولد عام ١٨٣٠ ، بل كانت موجودة فى الحياة فترة طويلة قبل ظهور الحضـارة العربية الاسـلامية ٠ وقـد أنتجت أرضـنا رجالا شجعانا ، تجمع فيهم الى جانب حب أرض الوطن ، النضـال فى سبيل الحياة ضد الاضطهاد ٠ فكيف يمكن الحديث عن الجزائر دون أن نتـكلم عن ماسينيسا أو يوغورتا ؟

تقاليدنا الغنية تنبع من هذا التنوع الذى يتجمع فى وحدةمنسجمة، ولا نولى ــ اهتماما ــ الاستعمار أو الطموحين العطاش الى السلطة الذين يستندون الى هذا التنوع ليفرقوا صفوفنا ٠ انهم لم يتجمعوا فى الماضى ، وسيفشلون الآن أيضا ٠ ويكفى أن نعمل على تحرير الناس فى بلادنا ،

دون أن نحدد بشكل تعسفى نوع الملبس الذى يجب أن يرتدوه ، واضعين أنفسنا بذلك مكانهم ٠

ومع ذلك أريد أن أؤكد هنا بقوة اننا بقينا وسنبقى وارثى تلك الحضارة العربية الاسلامية التى كانت مصدرا لاثراء تقاليدنا ، وعنصرا فى التقدم الانسانى ٠ ففى الجزائر لم يكن الاسلام دين التسامح فحسب، ولكن كان أيضا عنصرا حافزا على التحرر الاجتماعى ، فقد أعاد الارض الى الارقاء الذين كانوا يعملون لحساب « الكولون » الرومان ، وفتح الطريق واسعا أمام العلم والتقدم !

وهناك صحفيون ورجال سياسة وعلمـــاء مزيفون يعملون لحساب الاستعمار ، أرادوا أن يدخلوا فى ذهن أجيال من الجزائريين ، أن الاسلام كان عقيدة فى سبيل التقدم ، ولكن ثورتنـــا أثبتت طوال سنة ونصف السنة أن الاسلام قد رفع على أعلى المراتب ، مبادىء التضامن الانسانى والعدل الاجتماعى على هذه الارض برغم الرجعيين والعنـــاصر المتخلفة الحريصة على امتيازاتها ٠ وسنسير الى الامام بروح الاحترام لتقـــاليدنا العربية الاسلامية ، وسنواصل السير نحو الاشتراكية ٠

وليعلم أولئـــك الذين يريدون أن يدنسوا الاســـلام ، عن طريق استخدامه فى اتجاه مضاد للتقدم انهم لن يستطيعوا القيـــام بذلك الى الأبد ، وانهم لم يتمكنوا من ذلك حتى الآن الا منتهزين تسامحنا الزائد على الحد ، ووجود بعض الخلط الذى ســـاهموا فى الابقاء عليه ، ان الاسلام بعيد عن أن يتعارض مع الطريق الذى اخترناه ، بل على العكس يعنى فى ذهن الجمـــاهير الشعبية ، العدالة وبذلك يسير فى اتجـــاه الاشتراكية ٠

اختيار حاسم :

والآن ، أصل الى مشكلة أخرى لها طابع سياسى واقتصـــادى فى الوقت نفسه ، انها مسألة التسيير الذاتى ، وعلى الجميع أن يدركوا أن هذا الشكل من الادارة قد توصل اليه العمال خلال المعارك التى خاضوها، وان كل التصريحات والخطب عن الثورة وعن الاشـــتراكية ، لم تستطع أن تضيف الى مكانة الجزائر ، ما أضافه التسيير الذاتى ٠ وبصرف النظر عن كل أوجه النقد التى يمكن أن تقدم ، وبعضهـــا لا شك سليم ، فان المصانع أخذت تدور من جديد برغم فقدان المساعدات المالية والفنية الخ ٠ من جانب الادارة الحكومية ، التى كانت فى حالة من الفوضى الشـــاملة

لا تستطيع معها أن تفعل شيئا ، ولهذا السبب فان التسيير الذاتى ، كان ومازال بالنسبة لنا اختيارا حاسما ، ومحاولة النزول الى مستوى مجرد حق من حقوق العمال فى أن يستشاروا من آن لآخر ، هو بمثابة تحويلها الى مجرد نوع من الرقابة العمالية ، وتحويل العمال فى الوقت نفسه الى مجرد أجراء للدولة ، ولا يوجد أعداء التسيير الذاتى خارج المؤسسات فحسب ، بل داخلها أيضا • فعلينا أن نقف ضد رؤساء لجان التسيير الذاتى الذين يوضعون أنفسهم فوق مستوى العمـــال ويتصرفون كأنهم ملاك جدد ، مقلدين اياهم فى أسـلوب عملهم ، رافضـين رقابة الجمعية العموميـة أو مجلس العمال • ولكن فى الوقت نفسه أريد أن أحـــذر المناضلين احد الاخطاء الخطيرة :

ان اختيارنا لطريق التسيير الذاتى ، يجب ألا ينسينا أنه فى بعض الحالات نظرا للظروف الاقتصـادية والاجتماعية ، أن التنمية عن طريق التأميم قد تكون ضرورية • واننا لنعلم أن هـــذا الطريق قد يحمل فى طياته بعض الاخطار ، ومن واجب الحزب أن يكون واعيا بهذه الاخطار ، وأن يعالجها ، باستخدام الاساليب التى تسمح للعمـــال ، بالاستعداد لتحمل مسئوليات التوجيه والادارة •

يجب أن ننتج !

يجب أن ننتج !

والآن علينــــا أن نتحدث عن الاصلاح الزراعى ، أو على الأصح ، الاصلاح الزراعى الثانى ، لاننا قد تناولنا من قبـــل الاصلاح الزراعى الاول ، ذلك الاصلاح الذى سمح به الرحيل الجماعى للكولون ، والذى أتممناه بوساطة تأميمات مارس واكتوبر •

أما الاصلاح الزراعى الثانى ، فيجب أن ننظر اليه كوسيلة، لتوثيق صلة الفلاحين الصغار والمعدمين بالحياة السياسية والاقتصـادية للبلاد ، أنها تمثل مرحلة ســتسمح لا باجراء توزيع أكثر عدلا للدخل القومى وزيادة الانتاج فحسب ، ولكن أيضا بتأكيد الفواصل بين القوى الثورية وبين تلك القوى التى نسميها القوى الغامضة • ومسألة الغمـوض هذه هى مشكلتنا ، وسنكتشف الوسيلة لنزع الاستار والقاء الضوء على كل شىء يجب أن يتضح ، والاصلاح الزراعى بالتحديد هو احدى وسائلنا •

مازال فى الجزائر ٨٥٠٠ مزرعة خاصة ، مساحة المزرعة تزيد على

مائة هكتار (١) و ١٥٠٠٠ مزرعة مســـاحتها تزيد على ٥٠ هكتارا • ومجموع هذه المزارع الذى يصل الى ٢٣٠٠٠ يغطى مســاحة تقرب من ٤ر٥ مليـــون هكتار • على حين أن ٧ ملايين الهكتار من الاراضى الزراعية المتبقية مقسمة بين أكثر من ٦٠٠٠٠٠ ملكية •

ويوجد مليونان من الفلاحين يعانون من البطالة أو البطالة المستترة القريبة من البطالة الكاملة • على حين أن الاغلبية الساحقة من كبار الملاك لا يزورون مزارعهم ، الا ليطمئنوا على الحصاد أو يقبضوا مستحقاتهم من الفلاحين !

والجزائر الثورية لا يمكن ألا تواجه هـــذا الوضع الذى يؤدى الى انخفاض مستوى استغلال الاراضى فى الملكيات الكبيرة والمبـــالغة فى استغلال أراضى صغـــار الفلاحين ، كما يؤدى الى عدم الافادة من القوى البشرية فى البلاد ، والى تركيز الدخل القومى بين عدد قليـــل من ذوى الامتيازات • والقيـــام بالثـــورة يعنى عدم التردد فى الهجوم على ذوى الامتيازات ، أيا كان أولئك الذين يتمتعون بوضع خاص !

وهكذا فان مشروع الاصلاح الزراعى يتضمن تحديد الحد الاقصى للملكية ، ولن يمس سوى كبار الملاك وبعض متوسطيهم •

ولكن اذا كان الاصلاح الزراعى أمرا ضروريا ، فيجب ألا نظن اننا سنجد فيه حلا لجميع مشاكلنا ، والواقع ان الحل لجميع مشاكلنا ينحصر فى كلمة واحدة ، هذه الكلمة هى : الانتـــاج • ويجب على كل جزائرى وجزائرية ، أن يضع هذه الفكرة أمامه دائما ، يجب أن ننتج ، يجب أن ننتج أكثر كل يوم فى جميع المجالات ، وباستخدام جميع الوسائل التى نمتلكها •

ان الناس يتحدثون عن التصنيع ، ولهم الحق فى هذا الحديث ، ولكن ، كيف نسدد أثمان المصانع اذا لم نستخرج منذ الآن الحد الاقصى من المكاسب بالآلات والادوات التى نملكها بالفعل ؟ المساعدة الاجنبية ؟ اننا نقبلها بالطبع بكل امتنان ، مهما كان مصدرها ، ولكن من يظن أن هذه المساعدة ستكفى ؟ من يمكن أن ينسى اننا سنجد الوسائل لامتصاص البطالة ورفع مستوى المعيشة ، وبالاختصار زيادة الانتاج قبل كل شىء فى عملنا وفى ثرواتنا المتراكمة ؟

وفى هذا الصدد نلاحظ بعض الحقائق التى يجب ابرازها : وأولها الحقيقة التالية: من بين جميع الآثار التى تشكل التراث الثقيل للاستعمار،

(١) الهكتار ٥/١ ٢ فدان •

أثر ربما لم نخض معركة التخلص منه بالحسم الكافى ، وأنا أقصد الحيز الزائد على الحد الذى يحتله فيما يسميه الخبراء الاقتصاديون بالمجـــال الثالث ، أى قطاع الخدمات ، والذى يمكن أن نسميه ببساطة مجمـــوع العاملين الذين لا ينتجون بشكل مباشر • وبالطبع لا يمكن أن نستغنى عن الاداريين والموظفين وعمال النقل والتجار ، ولا بد لنا من الشرطة فى المدن وعمال البريد والعاملين على الآلات الكاتبة والبائعين فى الحوانيت الخ • فكل هؤلاء الرجال والنساء لا يمكن الاستغناء عنهم اذا أردنا لأمور الحيـــاة أن تسير ، ولكن الظـاهرة التى لا نريدها هى تلك التى تجعل الجزائريين منذ اللحظة التى يحصلون فيهـــا على شهـــاداتهم الدراسية الابتدائية أو الثانوية لا يحلمون بسوى أن يصبحوا شرطة فى المدن أو عمال بريد ، ويجعل الجزائريات يتخيلن أنهن لا يستطعن العيش بشرف الا خلف الآلة الكاتبة ! ومثل هذا الاتجاه يمكن أن يصبح أكثر خطورة اذا لاحظنا أننـــا نقترب من اليوم الذى سيكون لدى كل شاب وشابة جزائرية شهادة الدراسة الابتدائية على الاقل ، ولن ينقصنا عندئذ الا أن يتمنى كل الاطبـــاء والمهندسين والفنيين الآخرين الذين كان من حسن حظهم الحصول على شـــهادات الدراسات العليـــا ، الدخول فى احدى الوزارات !

وأنا أكرر أن كل هـــذا ليس ســـوى انحراف ورثنـــاه من أيام الاستعمار ، فخلال سنين طويلة فى بلادنا ، لم تكن هناك مصانع ، وكانت الورش بدائية ، والتـدريب المهنى غير معروف • ولذلك كانت الوسيلة الوحيدة للتخلص من الشقاء ، هو الدخول فى هذا القطاع الثالث الذى خلق لخدمة احتياجات «الكولون» • وقد رحل « الكولون » ولكن عقليتهم بقيت ، ويجب أن نتخلص منها • يجب أن نعطى العـــامل المنتج مكانته المشروعة ، أى المكانة الاولى • وفى بلادنا هذه فان الرجال الذين يحتلون المكانة الأولى ، يجب ألا يكونوا الموظفين أو الوسطاء من مختلف الأنواع ، وانما هم الفلاحون والعمـــال ! ويجب أن يضع كل الباقين أنفسهم فى خدمة العمال والفلاحين ، لانهم يعيشون من جهدهم وعرقهم !

الاحساس بالمسئولية الاجتماعية :

وفى هذا الشأن نريد أن نتحدث قليلا عن التجار ، أو على الأصح مجموع أوجه النشاط التى تنتهى بتجـارة التجزئة ، ونحن بصدد قطاع مهم للغاية فى اقتصاد البلاد ، لانه يسمح بوضع مختلف أنواع السلع فى متناول أولئك الذين يحتاجون اليها ، وبسبب هذه الاهمية بالذات ، لابد

من أن توثق الصلة بين هذا القطاع وبين مجموع أوجه حياة البلاد ، وألا يكون عقبة أو عنصر عرقلة أو حتى خطر على عملية البناء الوطنى !

واذا أراد كل أولئك الذين يشتركون فى تجميع أو نقل أو تخزين أو توزيع السلع أن يقوموا بالدور الذى يستحقونه يجب أن يقوموا به على أساس المكانة الحقيقية التى يحتلونها ، وليس على أســاس رغبة ما للسيطرة ٠

ووظيفة التاجر ، بالمعنى الواسع لهذا اللفظ تستدعى منحه مكافأة عادلة تسمى بالربح ، ولكنها لا يمكن أن تتحول الى شكل من أشكال تراكم الثروات بين أيدى الموزعين ! واذا لم نكن يقظين ، وخصوصا فى بلادنا ، حيث يحط من قيمة وظيفة الانتاج ، بسبب ضعف المستوى الذى وصلت اليه ، فاننا قد نصل الى مثل هذا التراكم ٠

اننـــا لسنا ضد بعض الحرية فى ممارسة تلك المهن التى تتطلب قسطا كبيرا من المبادرة الفردية ٠ ولكننا ضد استخدام هذه الحرية بهدف المضاربة ، فعلى كل شخص أن يقوم بواجبه كمواطن ٠ ومحاولة استغلال تلك الظروف الخاصة ، والمرتبطة بفرص التعليم أو الوضع المالى، للحصول على نتاج عمل الآخرين ، يعنى التخلى عن القيام بواجبه ٠

وهذه الملاحظة موجهة الى كل أقسام المواطنين ، أيا كان المركز الذى يحتلونه ، وخاصة المواطنين الذين يثق فيهم الرأى العـــام ، فبالنســبة لهؤلاء تتحول المسألة من خطأ الى جريمة لا تغتفر ٠ وقد عاقبنا على مثل هذه الجرائم من قبل ، ونحن مستمرون فى مكافحة الفساد ، ولا يمكن أن نقبل نظرة أولئك الذين يعدون أن السلطة الممنوحة لهم وسيلة ، من بين عديد من الوسائل ، لفتح حانوتهم الخاص والقيام بعمليات مالية لحسابهم ٠

وهكذا الموقف بالنسبة للمسائل المالية ، وهنا أيضا لابد من تطبيق الاحساس بالمسئولية الاجتماعية ٠ لا يمكن أن نقبـــل أن يتم عدد من العمليات بوسائل سرية ، تلك الوسائل التى لامبرر لها اليوم ٠ ان حسن سير المؤسسات المختلفة ، وتطـور البـــلاد يحتم أن تدخل المبادلات التى تتهرب من كل رقابة ، ومن كل الضرائب المالية والتى تظهر هنا وهناك ، يحتم أن تدخل فى الحياة الاقتصادية الطبيعية للبـــلاد ، وبهذه الوسيلة وحدها يمكن أن تؤسس علاقات متناسقة بين أنواع النشاط المختلفة التى يقوم بها الناس ٠

فالاجراءات النقدية التى قمنا بها مؤخرا ، وقد أثبتت أن المبـــالغ

المتراكمة لدى الافراد ليست صغيرة ، يجب أن نقنع كل الناس أن النقود لم تعمل لتتراكم فى الخزائن ، ولكن لتتداول ، ان تخزين النقود يضر بمصالح البلاد ، ويجب بذل الجهود حتى يستثمر الادخار الوطنى ويستخدم لتطوير اقتصادنا .

ولكن لنعود لحظة الى المشكلة الخاصة بالتجار ، وأنا أتوجه هنا بالكلام الى صغار التجار ، اننا نعلم أن مصيرهم لا يفضل كثيرا مصير عدد كبير من الجزائريين ، فليسوا هم الذين يتحكمون فى شبكات التوزيع المعقدة ، وليسوا هم الذين يفيدون من اعتمادات البنوك أو تلاعب بعض الموظفين ، وعندما تحدث المضاربات فانهم فى أغلب الاحيان يكونون ضحايا وليسوا مفيدين . والواقع انهم مرتبطون ارتباطا وثيقا ، بأولئك الذين يمونونهم بالسلع ويحولونهم الى منفذين غير واعين فى أغلب الاحيان للمناورات المختلفة ، ومع ذلك يشترك هؤلاء الضحايا فى كثير من الاحيان فى المناورات التى يحوكها الذين يسيطرون عليهم بسبب الخوف ، واما بسبب الجهل وربما لانهم يحتفظون بأمل خادع ، فى أن يكونوا فى يوم من الايام ، من الناس الذين يحركون الامور !

وضع حد لعدد من المضاربات

ويجب أن نقول لهؤلاء الذين يفكرون بهذا الاسلوب ان عليهم أن يتخلوا عن مثل هذه الاهداف . فقد انقضى الزمن الذى يمكن فيه أن يحرك بعض الناس الأمور ! ان فرصتهم الوحيدة للمستقبل هى أن يتكيفوا مع المجتمع الجديد الذى نبنيه ، اننا نكرر أن هناك مكانا لهم ، وعليهم آن يدركوا كيف يأخذون هذا المكان ؟

هناك جانب آخر فى التجارة يجب أن نتحدث عنه ، وهو التجارة الخارجية . انكم تعلمون أنه خلال فترة الاستعمار كانت كل السلع التى تبيعها الجزائر تقريبا ، أو التى تشتريها ، تذهب الى فرنسا أو تاتى منها . وعندما حصلنا على الاستقلال ، أصبحت أمامنا مشكلة التحرر من هذه التبعية الاقتصادية الشديدة التى كان من الممكن أن تصبح بسرعة تبعية سياسية . ولكن حتى يتم هنا التحويل من الناس الذين كان يمكن الاعتماد عليهم ؟ فى حالات نادرة كان يمكن الاعتماد على المصدرين والمستوردين المحترفين ، فلم يكن لديهم الدافع لبذل الجهود والمصروفات اللازمة للبحث عن منافذ أخرى ، وعن منابع أخرى للأرباح التى كانوا يحصلون عليها دون تعب من السوق التقليدية .

وكان من الممكن للحكومة بالطبع أن تعقد مع هذا البلد أو ذاك من البلدان الاجنبية اتفاقات تجارية ، وقد حاولنا ذلك بالفعل ، ولكن قيمة هذه الاتفاقات بقيت محدودة طالما كانت تترك عمليات البيع أو التبادل لرغبة المجموعات المحترفة • وكانت فى النهاية لا تؤدى الا الى تقوية سلطان هذه المجموعات ، ولذلك فلابد من أن نستولى بسرعة على مجموع تجارتنا الخارجية • وهذا أمر ضرورى لا فى مسألة زيادة عدد الاسواق فحسب ، ولكن أيضا لايقاف عدد من عمليات المضـــاربة التى لاتؤدى الا الى زيادة الفقر الذى يعانى منه شعبنا ، وتخريب جزئى للمجهودات التى نبذلها •

وفى مجالات التجارة الخارجية أيضا يجب أن نتفــادى من بعض الاوهام ، فتنمية الصادرات مهمة اساسية ، ولكنها لاتكون دائما سهلة ، وحتى نصل الى ذلك ، يجب علينا لا البحث عن أسواق خارجية قادرة على امتصاص سلعنا فحسب ، ولكن أيضا تطوير انتاجنــا الوطنى ، بقدر يسمح بالا تؤدى هذه الزيادة فى التصدير الى مخاطر تمس الاستهلاك الداخلى ، الذى ما زال فى حيز أقل من الواجب بكثير •

نحتاج اذن الى تخطيط :

ولكن هناك طريقة أخرى لتناول هذه المشكلة : تلك التى تضع فى الحسبان تخفيض استيراد السلع الاستهلاكية مع تنمية التصدير ، فعلى الأقل سيؤدى هذا الى تخفيض كميات النقد الاجنبى الذى تستحوذ عليه الشركات البحرية وشركات التأمين التى تنقل أو تضمن السلع فى أثناء خروجها من البلاد أو دخولها اليها ، ولكن هنا أيضا نصـطدم بالضرورة نفسها ، وهى ضرورة زيادة الانتاج وخصوصا فى المجالات التى يمكن أن تغطى الاحتياجات الاساسية للبلاد ، ومثل هذا الهدف يمكن الوصــول اليه : ففى هذه المجالات بالذات نملك أفضل الاسلحة ، وعندنا أكبر قدر من الخبرة ، وفى هذا المجال يمكن أن يكون المجهود الجماعى لكل الشعب مثمرا للغاية •

ولكن هذا الجهد لا يمكن أن يتم على أساس فوضوى ، ذلك الاساس الذى يتولد حتما من الاعتماد على مجرد تجميع المبادرات الفردية مهمــا كانت طيبة •

واذا كانت هناك بلاد تريد أو يمكنهــا أن تدفع ثمن التبذير الذى يؤدى اليه عدم التنسيق بين أوجه النشاط الاقتصادى المتخلفة ، فانهــا حرة فى ذلك • وهذا أمر لا يخصنا • ولكن ما يخصنا نحن هى الجزائر ،

وفى هذا المجال نحن نعلم أننا لا نستطيع أن نقبل أى تبذير للطاقة مهما كانت قليلة ونحن نحتاج اذن الى التخطيط ٠

وعندما نتحدث عن التخطيط فان هذا يحتم ضرورة كشف الستار عن كل مايمكن أن يعرقل هذا التخطيط ٠ ولا يوجد من يعارض التخطيط بشكل جدى أو على الأقل لا يوجد من يعـــارض التخطيط علانية ٠ ان المعارضين يكتفون بأن يعرضوا المشكلة بطريقة توحى بأنه لا يوجد حل لها٠ والحجة التى تستخدم كثيرا هى كما يلى :

يقولون : ان وضع الخطط عملية علمية ، وحتى يمكن وضعها ، يجب أن تكون لدينا الاحصائيات والتقارير والوثائق ، وباختصار كل العمليات الاقتصادية التى تجعل عمل الخبراء أمرا ممكنا ٠ وفى الوقت نفسه فنحن فى احتياج الى الخبراء ، ولذلك يجب تكوينهم أو الاســتعانة بجيش من الخبراء الأجانب الذين لابد أن يتعرفوا على البـلاد حتى يمكن أن يبدءوا عملهم ، وأن يكتشفوا بناء المجتمع ، وعاداته ، وعادات النـــاس فيه ،

ويجب وضع هذه المسائل فى التقدير ٠

وأريد أن أقول لكم : ان أولئك الذين يفكرون بهذه الطريقـة ، يذكروننى بالأشخاص الذين أكدوا فى ٣٠ من أكتوبر ١٩٥٤ أنه حتى يمكن أن نبدأ فى حرب التحرير ، لابد أن ننتظر الدبابات والطـائرات والجنود المدربين القادرين على استخدام هذه الاسلحة الحديثة ٠

اننا لن نسمح لهم بأن يزجوا بنا فى هذا الدرب المقفل ، سنضــع خطة انتقالية بالوسائل التى تحت أيدينا وبالمعلومات التى لدينا ، ولسنا فى احتياج الى التعرف على بلادنا ، فنحن نعرفها بالفعل ، وليس هـــذه ميزة بسيطة ٠

وستغطى هذه الخطة الانتقالية سنتين أو ثلاث سنوات ، فليس هذا أمرا مهما ، ولكنه سيوضع على أساس الاهداف الاســـاسية التى نريد الوصول اليها ٠ وسيسمح لنا أيضا بأن نجمع الوسائل الضرورية لوضع خطة شاملة للتطور ، وهذه الخطة ستوضع بمساعدة الشـــعب كله ، بمساعدة لجان التسيير الصناعية والزراعية ، والمنتفعين بالاصـــــلاح الزراعى ، لاننا لا يمكن أن نسمح بوجود هوة ضارة بين المنتجين الموكل اليهم تحقيق الخطة مهمة التفكير والرقابة ، وبين جهاز سلطة بعيـــد عن الواقع ٠

وعلى هذا الأساس سنخوض معركة التخطيط كما خضنا المعارك

الاخرى ، لن تكون أسلحتنا أفضل أو أسوأ ، ولكننا متيقنون من الاسلحة التى نملكها ، والتى ربما كانت أفضل مما يدعى البعض ، فقد أثبتنا ذلك من قبل .

ويجب أن تضع هذه الخطة الانتقالية فى المقام الأول من الأهمية وهى ضرورة بذل جهد كبير فى مجال تكوين الكوادر ، أى فى الاستثمار الفكرى ، وليست الوسيلة الأساسية للنجاح هى ارسال الطلبة من كل الانواع لدراسة مهنتهم فى الخارج ، فهؤلاء الطلبة ستتوافر لهم أفضل فرصة للحصول على تكوين فعال هنا فى البلاد ، فى مواجهة المشاكل الفعلية ، اننا نعرف جيدا كيف أن أشهر مسنى الحياة فى الخارج فى عالم يختلف عن عالمنا ، يمكن أن يسبب للشبان صعوبات كبيرة عندما يصبح عليهم أن يتكيفوا من جديد على حياة شعبهم ، وأن يخلقوا الانسجام بين معلوماتهم ، وبين الظروف الخاصة التى يجب أن يستخدموا معلوماتهم فى اطارها .

ان السياسة والثقافة والتكنيك كلها تؤكد ضرورة تكوين الكوادر التى تحتاج اليها داخل البلاد نفسها ، ان المسألة هنا تتعلق برأس مال لا يمكن أن نخاطر بأن نجده دون المستوى المطلوب عند اللحظة التى نرى فيها امكانية استخدامه .

الحالمون بالنظام البورجوازى :

وأخيرا ، أريد أن أرد على أولئك الذين يطمعون فى أن تكون الدولة بمثابة الحكم بين الاتجاهات المختلفة والقوى المختلفة فى بلادنا ، الذين يريدون من حكومتنا أن تلعب لعبة التوازن القريبة ، وبالذات بين التيار الثورى والحالمين بالنظام البورجوازى .

يجب ان يكون واضحا أن مثل هذا الوضع لن يوجد أبدا ، فسياسة الحكومة يحددها الحزب ، والحزب يجب أن يكون مركز تجمع كل المناضلين الثوريين الحقيقيين ، فاذا وجد أى نوع من التحكيم فليعلم الجميع أن الحكم سيكون دائما لصالح التيار الثورى ، فليكفوا اذن عن حديثهم حول التوازن الخادع ، ففى بلادنا لا يوجد الشخص الذى يستطيع أن يأمل أن يواجه مجموع الشعب .

وهكذا ، فاذا أردنا أن نراجع أنفسنا وأن نوضح بعض النقاط وأن نستكملها ، فلابد لنا قبل كل شىء أن نهتم ببعض المسائل التى تتطلب

منا اهتماما مباشرا دون أن ينال هذا من مجموع الاهداف والقرارات التى يجب أن نحددها .

ومن البديهى أن الاصلاح الزراعى سيكون بالنسبة لنا عملا أساسيا وخطوة أولى نحو التصنيع ويرتفع تطبيق الاصلاح الزراعى الى مستوى أهمية النظريات المتعلقة به ، وكما قلنا وكررنا ، تتعلق المسألة بثورة زراعية حقيقية ، بثورة فى علاقات الفلاحين مع الطبيعة ، وفى العلاقات الاجتماعية فى الريف . يتعلق من ناحية بتحرير القوى الزراعية الانتاجية والتقدم فى مستوى الفلاح بالذات فى المناطق المحرومة ، وجعل ظروف معيشته ظروفا انسانية من ناحية أخرى ، هذه هى الجوانب الهامة للمسألة .

واذا كنا نؤكد أهمية الثورة الزراعية فهذا لا يعنى على الاطلاق تجاهل المهام الاقتصادية والزراعية الاخرى التى تتعلق بمسألة رفع مستوى معيشة العمال . تلك المسألة التى أوليت اهتماما فى الماضى ، والتى ستولى اهتماما متزايدا فى المستقبل .

وانما نؤكد أهمية الاصلاح الزراعى بهدف توضيح أن اشتراكيتنا وهى اشتراكية الفقراء ، لاتهمل أولئك الذين هم فى الواقع أكثر الفئات شقاء على هذه الارض ، ولهذا السبب فاننا لا نخشى أن نعطى تلك المشكلة الخاصة بالجزائر ، مشكلة الايتام الأهمية الواجبة . وفيما يتعلق بهم ، يجب تنظيم حملة للتبنى ، حتى نخلص هؤلاء الاطفال من الشقاء الذى حل بهم نتيجة لجرائم الاستعمار . وعلى كل جزائرى ، وخصوصا أولئك الذين يتمتعون بامكانيات مادية أن يحس بواجبه فى جعل الجزائر كلها عائلة كثيرة مضيافة ازاء ضحايا جلادى الاستعمار ، الذين حاولوا أن يبذروا فى أرض الجزائر الحزن والشقاء ، وعلى كوادر الحزب أن يضربوا المثل :

فلنقسم بأن نعيد الى هذه الوجوه الشابة ابتسامة الجزائر التى عادت الى أبنائه . انها مسألة تتعلق بمستقبل ثلاثين ألفا من أبنائنا وبناتنا .

ويجب ألا ننسى أيضا مستلزمات اعادة البناء الاقتصادى للبلاد ، فى رأسمالها الثابت الخ . ان مشكلة صيانة كل ما نملكه فى هذه المجالات يجب أن توضع أيضا فى المقام الاول من اهتمامنا . وفى هذا الخصوص ، فان مسألة التشجير تتطلب اهتماما خاصا ، والحملة التى بدأناها بنجاح يجب أن تستمر دون راحة ، وأن تصل أولا وقبل كل شىء الى تشجير كل الطرق الاساسية والثانوية .

وسنصل الى تحقيق كل هذه الاهداف بالطبع ، بفضل تكتيل الجماهير في العمل ، فالى جانب تجنيد الجماهير فى الورش وفى اطار الحملات المختلفة لمحو الامية التى يجب أن تبدأ من جديد لابد من تنظيم جدى للخدمة الاجتماعية الاجبارية ، التى يجب أن تترجم فى الواقع عن طريق خلق جيش حقيقى من العاملين يضع سواعده فى خدمة البناء الاشتراكى ٠

وفى هذا الاطار فانه يقع على عاتق الجيش الشعبى الجزائرى دور كبير ، وهو الوريث لجيش التحرير الوطنى ، أخذ منه خلال حرب التحرير ، أكثر ما فيه من حيوية ومن ثورية فى مجتمعنا ٠ وهو يجمع الطلائع الحقيقية ، وهذه الطلائع مازالت تحافظ على روح التضحية التى اتسمت بها ، والتى تتعارض تماما مع البحث عن المكاسب ، والاصل الاجتماعى لهؤلاء الجنود وأغلبهم من الفلاحين الفقراء ، يجعل الجيش الشعبى حساسا بشكل خاص لحركة الجماهير والأهداف الاشتراكية للحزب ٠

وفى كل المعارك التى خضناها من أجل تأكيد اتجاهنا الاشتراكى كان الجيش الشعبى فى الصفوف الأولى ٠

والمهام الضخمة التى تنتظرنا لايمكن أن تتحقق دون اشتراك الجيش الشعبى النشيط ٠ وكما يعطى أفضل ما لديه فى المعركة ضد أعداء الاشتراكية ، فانه سيعطى أيضا وفى كل يوم أفضل ما لديه فى اعادة بناء البلاد ، ولتكن البندقية والفأس معا هما رمزى جيشنا الشعبى فى خدمة الشعب ٠

تحويل جهاز الدولة الى جهاز جزائرى :

وعلينا أيضا أن نطبق قرارات مؤتمر التسيير الذاتى ومؤتمر الحزب، فى اطار تجنيد الجماهير أيضا ٠ ويجب أن نؤكد هنا أهمية حملات التوعية للرأى العام الشعبى ، وضرورة اثارة نشاطها الفعال ، لان تطبيق قراراتنا ليست مهمة البيروقراطيين ، كما أن مؤتمراتنا ليست حلقات للثرثرة خالية من النتائج العملية ٠

يجب أن ندرك اننا قد أخذنا على عاتقنا عملية تحويل شامل لمجتمعنا ، وكما أن مؤتمر التسيير الذاتى قد سمح لبعض الفئات بأن تعبر عن نفسها ، وأن تقرر مصيرها ، فبالمثل ، ستتيح مؤتمرات أخرى الفرصة نفسها لمراتب الشعب المختلفة ، لكى تندفع فى العمليات الثورية ، ويجب أن تتاح الفرصة لصغار الفلاحين ، حتى يناقشوا مشاكلهم وينظموا أنفسهم على النطاق الوطنى ٠ وسيعقد مؤتمرهم قبل نهاية عام ١٩٦٤ ٠ ويجب

أن يعقد مؤتمر للنساء أيضا يكون بمثابة نقطة البداية فى حركة ثورية تحريرية تجعل المرأة تشترك بشكل كامل فى حل المهـــام المتعلقة ببناء الاشتراكية • وكذلك يجب أن يعقد مؤتمر للشباب حتى ينظموا أنفسهم بالطريقة المثلى التى تفتح أمامهم امكانية القيام بالدور المطابق لأهميتهم فى الامة وللحيوية التى ننتظرها منهم •

وهذه المكانة التى يحتلها الشباب فى زحفنا نحو الاشـــتراكية ، تبدو أهميتها اذا تأملنا الدور الذى يجب أن يقوم به عمل المتطوعين فى بناء اشتراكية مثل اشتراكيتنا ، اشتراكية خلقها الشعب ومن أجله • وفى كل الحملات التى بدأت ، وفى كل المشروعات ذات الطـابع القومى الوطنى ، يجب أن نلجأ بشكل أســاسى الى هؤلاء المتطوعين الذين تمكنوا نتيجة لمعجزات التضحية والحماس لا أن يبنوا ويشجروا فحسب ، ولكن أيضا أن يضربوا المثل ، ذلك المثل الذى ينتقـل الى الجميع ، ويثير كل الطاقات • وبرغم ان هذه المسائل تتعلق بمهام مباشرة بعضها لا يشكل خطوات صغيرة فى زحفنا الطويل نحـــو الاشتراكية ـ يجب ألا نظن أنه يمكن القيام بها دون أن تخلق كل الظروف الملائمـة الضرورية والمتعلقة بأجهزة التنفيذ ، وهى الدولة والحزب •

وفيما يتعلق بالدولة يمكننا أن نطهرها من الاساس ، وذلك بتنظيم الانتخابات الاقليمية ، بطريقة ديمقراطية كاملة ، معتمدة على قـــوة دفع الحزب • وهدف هذه الانتخابات هو اعطاء مقاليد السلطة للشعب فى الاقاليم ، ولكن يضاف الى ذلك أنه من واجبنا ، دون تلكؤ أن نشرع فى القيام بتلك المهمة التى لا مفر منها ، وهى مهمة تحويل جهاز الدولة الى جهاز جزائرى ، والمبدأ الذى يجب تبنيه انمـــا هو عدم منح أى أجنبى وظيفة لها طابع سياسى مباشر أو غير مباشر ، وتخصيص المراكز الاساسية أولا وقبل كل شيء للمناضلين المجربين •

يجب أن ندرك أن مسألة تحويل جهاز الدولة من جهاز ادارى الى جهاز جزائرى وشـغل الوظائف القيـــادية ووظائف الرقابة على أسس سياسية ـ مسألة تتعلق بالحفاظ على استقلال البلاد •

يجب أن نتخلص من عقدة الفنيين التى تقودنا ببساطة الى وضـع مستقبلنا تحت رحمة ما يسمى بالمســاعدة الفنية والفنيين الاجانب • والفنيون الأجانب الذين نحتاج اليهم لا يمكن أن يكونوا مفيدين لنا الا اذا وضعوا تماما تحت قيادة الكوادر الجزائرية الوطنية والاشتراكية •

أما فيما يتعلق بالحزب فيجب أن يبدأ منذ الآن فى اعطاء نفسه ذلك

الطابع الاشتراكي والانساني الذي يسمح له دون سواه بالسير في رسالته حتى النهاية • ولنكرر مرة أخرى أن على الحزب قبل كل شيء أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بالجماهير ومصالحها ، وكأن بينه وبينها حبلا سريا ، وهو يحتاج أيضا الى ديمقراطية داخلية حقيقية ، منسجمة مع قانونه بشكل يسمح بازدهار المناقشة الحرة التي تسمح وحدها بالبحث الجاد عن الحلول الصالحة لمشاكل الاشتراكية الواقعية •

وفي المقام الاول وبعد أن يوسع قاعدته الثورية ، عن طريق ادخال كل المناضلين الذين تتوافر فيهم الشروط المطلوبة في لائحته ــ أن يجدد عن طريق الانتخابات كل أجهزته من أول الخلية حتى لجان المناطق •

وأخيرا على الحزب أن يسهر على تكوين واستكمال المناضلين بشكل مستمر مما يتطلب كنقطة بداية تأسيس مدرسة كادر منظمة بكل الدقة والاهتمام اللازمين • وعندما تنتهي أعمالنا ، ستكون مهمتنا الأولى ، شرح نتائج المؤتمر على نطاق جماهيري ، وسنبدأ باسبوع أول لهذه الحملة ، ويجب أن نسمع صوت الحزب في أكثر أركان البلاد بعدا •

ولكن يجب ألا ينسينا كل هذا أن الحزب يحتاج أساسا حتى يصقل الى تجارب النضال في سبيل تطبيق برنامجنا الاشتراكي ، فان أجهزته لن تتدعم وأعضاءه لن يصقلوا الا في المعركة الدائرة ضد الطبيعة وضد أعداء الشعب الجزائري • فلنول اهتمامنا اذن هذا الجانب من المشكلة ، حتى ندرك ضرورة اتخاذ القرارات العملية ، والقاء الحزب في أتون المعارك اللازمة تطبيقها •

وكل هذه الخطوات التي يجب أن نخطوها في طريق الاشتراكية تتصل بخطوات أخرى ، يجب أن نقوم بها خارج حدودنا ، فتجربتنا تتم بالفعل في اطار ظروف دولية ، يجب ألا نتغافلها أبدا ، وكقاعدة عامة في أيامنا هذه لا يوجد نضال منعزل ، وانه من السخف الا نضع في ذهننا دائما التفاعلات التي تربط مصيرنا بالعالم ، ذلك العالم الذي يؤثر علينا، والذي نؤثر في تطوره بدورنا •

والآن لا يوجد سوى قليل من الناس ينكرون الاهمية الاولى لمشكلة النضال ضد التخلف • ومهما كانت الزاوية التي ننظر منها الى المرحلة التاريخية الحالية فلا بد من الاعتراف بأن اقتلاع الشقاء والاستعباد وكل أنواع المآسي التي تتعلق بها تأتي في المقام الاول بالنسبة لضرورات النضال •

ان عملية التوعية الضخمة التى يمكننا تسجيلهـــا ، عملية الوعى المتزايد للجماهير ذات المصلحة ، هى الدليل على أن مشكلة التخلف قد وضعت بالفعل على بساط البحث فى الواقع ، وضعت فى أفضـــل ثوب لها ، فى ثوب الاسلوب النضالى ٠

وفى كل مكان بالفعل ينطلق المستعمرون وأشـــباه المستعمرين ، ليؤكدوا حقوقهم ، واذا سجلنا التغيرات التاريخية الضخمة ، التى حدثت فى السنين الاخيرة فسنلاحظ أنها تتعلق فقط بتحرير المعذبين فى الارض، الذين يمكن أن نقول : ان دورهم الخاص بدء مرحلة تاريخية انسانية حق٠

« أول نوفمبر جديد »

هناك مشاغل كثيرة على الطريق تعنى الكثير بالنسبة للعملية التى تتم ٠ ثلاث قارات تضطرم بالاحداث ، تلك هى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ، التى تنهض ضد الظلم ، وهـــذا يشكل بالنســـبة لثورتنا ، وبالنسبة لكل الثورات اطارا وعائلة كبيرة يكون التضـــامن بين افرادها وروحها النضالية المتعاظمة بمثابة أفضـــل تشجيع لنا ٠ وفى ضوء هذا التشجيع ، يجب أن ننظر الى الاحداث التى تتم مثل التأميمات فى بورما والسنغال ومعارك المقاومة فى جنوب شرقى آســـيا أو أمريكا اللاتينية والمعارك العربية والافريقية ٠ ان رياح الحرية التى تهب على العالم ، والتى تأتى من الجنوب المتخلف ، تفرض على شمالى كوكبنا ، الشمال الغنى ، المشكلة الكبرى لعصرنا الحديث ، مشكلة المساواة الفعلية لكل بنى البشر٠

واذا القينا بنظرنا الى نقطة أقرب ، فسنرى من حولنا العالم العربى، الذى نحن جزء لا يتجزأ منه ، والذى تشكل فى اطاره كل تجربة ، ملكية عامة لمجموع الشعوب العربية ، ولذلك ننتهز هذه الفرصة لنبعث بتحياتنا الأخوية الى الجمهورية العربية المتحدة ولنحيى ما حققته هذه الثـــورة العظيمة ، ولهذا السبب فاننـــا نأمل أن نرى مجمـــوع البلدان العربية الشقيقة الاخرى تحقق النتائج فى نضالها ضد الامبريالية ، حتى نصل فى النهاية الى النجاحات التى نأملها ، ضد الصهيونية ، وضد التفتت ، وضد كل أشكال استغلال الانسان للانسان ٠

ومن ناحية أخرى تقف افريقية معلنة بأعلى صوتهـــا تصميمها على انهاء الاستعمار ، هذه القارة التى انقض عليها المضطهدون بشراسة لامثيل لها ، تثبت كل يوم قوة الاندفاع التحررى الذى شمل العالم ٠

وقد وجدت شعوب آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية خلال نضالها

حلفاء فى البلدان الاشتراكية فى أوربا ، فعلينا أن نوجه لها أيضا التحية الواجبة ، وهذا التحالف ذو قيمة كبيرة للجانبين فالاستعمار هو العدو المشترك .

هذه اذن هى الظروف الدولية السائدة فى اللحظة التى تستعد فيها الجزائر المنهمكة فى واجباتها الداخلية ، والمتضامنة مع أشقاء النضال فى الخارج ، تستعد فيها للسير خطوات جديدة حاسمة على الطريق الذى اختارته ، فليكن هذا المؤتمر اذن ، مقترنا بالثقة التى تولدها الظروف وبالشجاعة والجدية التى يتطلبها ، ليكن رمزا لشىء مشرف وعظيم مثل ريح تنبىء بأحد مواسم الربيع ، والتى يمتلك سرها الشعب الجزائرى ، ليكن (اول نوفمبر جديد) ــ (اول نوفمبر الاشتراكية).

قرارات المؤتمر

١ ـ قرار حول السياسة العامة :

انعقد المؤتمر الاول لجبهة التحرير الوطنى فى الجزائر من ١٦ الى ٢١ من ابريل عام ١٩٦٤، وبعد دراسة ومناقشة وتعديل مشروع البرنامج والتقرير الذى قدمه السكرتير العام :

١ ـ يوافق المؤتمر على اتجـاه هاتين الوثيقتين اللتين تعبران عن ارادة الشعب الجزائرى وحزبه ، وتضعان سياسة للبلاد ، سـواء فى الداخل أو فى الخارج تحت شعار ذى شقين : « الاشتراكية ، وتمسكنا بشخصيتنا العربية الاسلامية » .

٢ ـ يحيى المؤتمر الخطوات المبـادرة التى اتخذت حتى الآن من جانب السلطة ، والتى سمحت باعادة تجميع القوى الثورية ، ويندد بالمجهودات التى تبذلها الثورة المضادة ، بالاتفاق الواعى أو غير الواعى مع القوى الاجنبية ، لعرقلة الزحف نحو الاشتراكية .

٣ ـ يقدم تحيات الاجلال الى الابطال والشهداء فى المعركة الوطنية ويتعهد بأن يشرف ذكراهم ، وذلك بالمحافظة على وحـدة الشعب فى الدفاع عن أراضيه ، ويعمل كل مايمكنه لصالح الأرامل والايتام .

٤ ـ يحيى كل الذين عملوا فى أنحاء العالم المختلفة على انتصـار الثورة الجزائرية وخـاصة الديمقراطيين الفرنسيين الذين مازالوا وراء القضبان ، بسبب مساهمتهم فى تحرير الجزائر .

٥ ـ يؤكد المؤتمر من جديد ، ضرورة استكمال استقلالنا فى جميع المجالات :

(ا) بالسهر على الاجلاء السريع للقوات الاجنبية العسكرية فى أراضينا .

(ب) بالاستمرار فى سياسة التحويل الـكامل للادارة الحكومية الى ادارة جزائرية .

(جـ) بالاتجاه فيما يتعلق بالمساعدة الفنية نحو البلدان التى تقدم خدمات افضل واقل تكلفة ٠

(د) بتوزيع صادراتنا فى التجارة الخارجية بكل الوسائل ٠

(هـ) باستعادة ثرواتنا الوطنية ٠

٦ ـ يؤكد المؤتمر ضرورة الاسراع فى عملية تعريب الجزائر ٠

(أ) عن طريق الاسراع بتعريب التعليم ٠

(ب) عن طريق تدعيم العلاقات ، وبالذات العلاقات الثقافية مع العالم العربى ، مما يعنى بالذات زيادة ملموسة فى الامكانيات التى توضع تحت يد الاجهزة المسئولة عن تدعيم تلك العلاقات ٠

(جـ) بتوسيع نطاق الدراسات العربية داخل الجامعة توسيعا ملموسا ٠

٧ ـ يطلب المؤتمر ضرورة تأكيد اختيارنا للطريق الاشتراكى فى الواقع :

(أ) بالوقوف دائما الى جانب القطاع الاشتراكى لتدعيمه فى مواجهة القطاع الخاص ٠

(ب) بادخال كل الوحدات الاقتصادية اللازمة لحسن سير القطاع الاشتراكى داخل نطاق هذا القطاع ٠

(جـ) بتوسيع هذا القطاع عن طريق وضع مؤسسات جديدة تحت نظام التسيير الذاتى أو عن طريق التأميم ٠

(د) عن طريق تطبيق قرارات مؤتمرى التسيير الذاتى للزراعة ومؤتمر التسيير الذاتى للصناعة ٠

(هـ) بالسهر على نجاح الاصلاح الزراعى ، عن طريق حملة منظمة لشرح أهداف الاصلاح والاشراك الواعى للفلاحين فى تحقيقه ٠

(و) بالاعتماد اساسا لتحقيق هذه الاهداف ، على تكتيل الجماهير الذى يجب أن يؤدى فورا الى جعل عام ١٩٦٤ سنة عمل المتطوعين ٠

٨ ـ يؤكد المؤتمر فيما يتعلق بالحزب المبادىء الآتية :

(ا) يجب أن يكون الحزب المحرك الاساسى لحياة البلاد ، ويجب أن يخضع أعضاؤه لقاعدة الحد الاقصى الاشتراكي الذى يتطلب ألا يحصل أى

مناضل على أجر مضاعف أو على أجر يبعـــده عن مستوى حيـــاة الجماهير الكادحة ٠

(ب) يجب على المناضلين أيضا أن يقـدموا فى أقصر فترة ممكنة حسابا بالممتلكات التى كانت لديهم أو حصلوا عليها منذ نوفمبر ١٩٥٤ لتقوم لجنة الرقابة فى الحزب بدراستها ٠

(جـ) احدى المهـــام الاساسية لتزويد الحزب بقوى جديدة ، هى تدعيم صلاته بالجماهير ، وتحسين تركيبه الاجتماعى ، عن طريق توجيه التجنيد أولا نحو العمال والفلاحين الفقراء ، وادخال المناضلين الثوريين الثائرين الذين ما زالوا خارج صفوف الحزب.

(د) ويجب أن يسهر الحزب منذ الآن على خلق ديمقراطية داخلية حقيقية مبنية على الانتخابات ، وعلى أساس اللائحة ، أى انتخاب المسئولين فى كل المستويات ٠ وبحملة توضيح مستمرة ومنظمة للبرنامج ومحتواه ، وتدعيم العمـــل السياسى والتثقيفى فى التنظيمـــات الجماهيرية ، وعلى الاخص فى النقابات ٠

(هـ) يجب أيضا أن يعطى الحزب المنظمات الوطنية اهتماما خاصا ، وعلى الاخص منظمة شباب جبهة التحرير ، والاتحاد الوطنى للنســـاء الجزائريات ٠

٩ ــ يقرر المؤتمر أن سياسة الحزب فى مجال بناء الدولة ، تهـدف الى تدعيم نفوذه حتى يتمكن من خوض المعركة ضد أعداء الاشتراكية بنجاح :

(ا) بتبسيط الاجهزة الحالية ، عن طريق اجراء اصلاح ادارى ٠

(ب) باعادة تنظيم المقاطعات على أساس لا مركزى ، للقضاء على تخلف الادارة فى المناطق المحرومة ، وبالذات المناطق الجبلية والصحراوية٠

(جـ) بوضع نظام للتقشف الجاد والمتزايد ٠

(د) بمنع وتصفية الاسراف والبيروقراطيـة والفساد وكل الانحرافات التى يمكن أن تؤدى الى اضعاف الصـــلات بالجمـــاهير وتشجيع مناورات الثورة المضادة ٠

١٠ ــ يقرر المؤتمر أن الحجر الاساسى فى سياستنا الخارجية هو جعــل الثورة الجزائرية مركزا للاشـعاع الثورى فى المغرب والعـــالم العربى والافريقى وذلك بما يلى :

(أ) نخوض معركة عنيدة وحازمة ضد الامبريالية والصهيونية والاستمر في الخطوات التي تهدف الى تكوين حلف واسع معاد للاستعمار يضم مجموع بلاد آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ·

(ب) بتطبيق سياسة عدم الانحياز ·

(جـ) بتطبيق التعاون مع البلدان التي يمكن أن تساعدنا في التغلب : مصاعب التخلف ، وتسرع من عمليـــة القضاء على تبعيتنـــا ا الاستعمار ·

(د) بالاستمرار في مساعدة حركات التحرر ، بتشجيع التدعيم المستم لوحدتها ، ونخوض معركة عنيدة ضد كل اشكال العنصرية وبالذا تلك التي تظهر التفرقة بين البيض والسود ·

(هـ) بمساندة كل الذين يعانون بسبب نضالهم من أجل الحرية والتقدم

(و) بالسهر على التطبيق الكامل ، لمؤتمر أديس أبابا وقرارات مؤت القمة العربي الخاصة بفلسطين وبالنضال ضد الصهيونية ·

(ز) بالعمل دون هوادة في سبيل التقارب بين الشعوب ، وهو الوسي الوحيدة لتأسيس السلام العالمي على أساس عادل ، ووضع حد للتجار الذرية ، للوصول بعد ذلك الى التخلص الكامل من كل الاسلحة الذري

٢ ـ قرار اقتصادى واجتماعى :

وافق المؤتمر الاول لجبهة التحرير الوطني المنعقد من ١٦ـ٢١ م ابريل عام ١٩٦٤ على اتجاهات التقرير والبرنامج في المجالات السياس والاقتصادية والاجتماعية · وبناء على ذلك قرر المؤتمر :

١ ـ أن ينفـذ بسرعة تخطيطا اشتراكيا يستند الى الاسـالي الديمقراطية في تحديده ويكون ملزما في تنفيذه ، وتحدد به الاهـــدا بالارقام ، وكذلك وسائل الوصول اليها ·

٢ ـ أن يدعم القطاع الاشتراكي الخاضع لنظام التسيير الذاتي : طريق التطبيق الصارم لقرارات مؤتمر التسيير الذاتي الصناعي والزرا وبتدعيم الرقابة على التسيير تدعيمـــا جادا ، طبقـــا لقرارات مار عام ١٩٦٣ ·

٣ ـ تطبيق الاصلاح الزراعي تطبيقا كاملا ، وبطريقة تؤدي الى نش التسيير الذاتي الزراعي على نطاق القطر ·

٤ ـ اخضاع المؤسسات الضرورية اللازمة لضمان حسن سير القطاع الاشتراكى ، لنظام التسيير الذاتى ٠

٥ ـ التحضير لتأميم التجارة الخارجية والبنوك ووسائل النقل وتنفيذه عند أول فرصة ممكنة ٠

٦ ـ حماية الانتاج الجزائرى فى مواجهة المنافسة الاجنبية ٠

٧ ـ اعطاء الأولوية للاستثمارات التى توسع العمالة ، حتى يمكن النضال ضد البطالة وهجرة القوى العاملة ويمكن استعادة هذه القوى العاملة من الخارج ٠

٨ ـ العمل على تحسين الظروف الاجتماعية للمهاجرين الجزائريين فى فرنسا وأوربا ، والاسراع بعودة العمال المهرة والفنيين الى الجزائر ، وذلك عن طريق اقامة المشروعات اللازمة لاستيعابهم ٠

٩ ـ تطبيق مفهوم ثورى للاستثمار الذهنى ، وذلك :

(أ) بنشر المدارس التى تستوعب كل البنين والبنات الذين تصل سنهم الى ٦ سنوات وذلك فى حدود مدة لاتتعدى ثلاث سنوات ٠

(ب) تأسيس نظام من التعليم الدائم للأميين ٠

(ج) تعميم المدارس المهنية ٠

(د) اعطاء الاولوية للتعليم الفنى فى البرامج العامة للمدارس بدلا من حصر نطاق هذا التعليم فى الاقسام الخاصة ٠

١٠ ـ خلق لجنة وطنية مكلفة بدراسة الاجراءات التى تسمح بالاسراع فى وضع برنامج للتعريب يتجه الى المحافظة على قيمنا الثقافية والروحية وتطويرها ٠

١١ ـ البحث عن الوسائل الكفيلة برفع مستوى معيشة أكثر مراتب الشعب حرمانا ، وتطبيق هذه الوسائل بسرعة مع القيام بحملة لتخفيض الاسعار ٠

١٢ ـ وضع خطة لتطوير المناطق المحرومة باستخدام حركة المتطوعين على أوسع نطاق ٠

١٣ ـ اعطاء المقاطعات وسائل تنفيذ ذلك ٠

١٤ ـ اقامة لجنة وطنية يوكل اليها التحقيق فى كل الاملاك التى

حصل أصحابها عليها بوسائل غير مشروعة أو التى يصعب اثبات أصلها منذ بداية الثورة ٠

١٥ ـ منع الجمع بين وظيفتين ٠

١٦ ـ الاسراع فى عمل اللجان التى تأسست لدراسة حالات بعض صغار التجار الذين أصيبوا بأضرار دون حق عن طريق التأميمات ٠

١٧ ـ البدء فى تنفيذ القرارات الخاصة بالبرنامج ، فيما يتعلق بالصحة العامة والاسكان وبناء المساكن ، وكذلك تصنيف أعمال للمجاهدين القدماء ٠

١٨ ـ اقامة لجنة وطنية مهمتها الاسراع فى حل المشاكل المتعلقة بتصنيف أعمال لقدماء المجاهدين ٠

١٩ ـ وضع ظروف المناطق الريفية فى التقدير عند رسم بناء المساكن ، حتى يتلاءم المسكن مع هذه الظروف ٠

٢٠ ـ حل مشكلة السكن والمحافظة على الاستثمارات غير المنقولة وذلك بتحديد الوضع القانونى لهذه الثروات فى اتجاه التأميم ٠

٢١ ـ تطبيق أسلوب الايجار المرتبط بالبيع ، مما يسمح بشراء السكن للاحتياجات العائلية أو الشخصية ، وذلك فى نطاق اقامة مكتب وطنى للتسكين حتى يمكن حل هذه المشكلة من زاوية الحفاظ على المبانى وكذلك من الزاوية المالية ، وبذل الجهود الضرورية لتنمية الوعى الاجتماعى حتى نحافظ على هذه الثروة ٠

٢٢ ـ العمل على سرعة استصدار قانون للاحوال الشخصية يتلاءم مع تقاليدنا ومع اتجاهنا الاشتراكي ٠

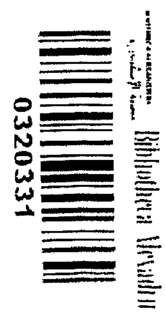
٢٣ ـ توجيه الطلبة فى نطاق عمل المتطوعين نحو المناطق المحرومة للقيام بالاعمال الآتية :

- تكوين الكوادر اللازمة لحملة محو الامية ٠
- عمليات التنشيط فى المجالات المختلفة للانتاج ٠

ـ العمل فى القطاع الادارى ٠

فهـــرس

الدار القومية للطباعة والنشر



العدد ١٣٦

الثمن ٢٠

١٩٦٥/٢/٢٤